بلاغة التمثيل وأبعاده التداولية في الخطاب القرآني
"آية النور أنموذجاً"

الأستاذ المساعد الدكتور لمياء محمد حمود المطرفي
كلية اللغة العربية / جامعة ام القرى / مكة المكرمة

المستخلص:

يُشَكِّلُ هذا البحث مجالاً مهماً من مجالات تحليل الخطاب؛ إذ يتوخى محاولة إبراز النماذج المنضبطة منهجاً وإجراء في تحليل الخطاب القرآني وسبل تأويله، ولذلك **تأتي أهميته** من أنه يعالج نموذجاً بلاغياً جامعاً بين بعدين مهمين، أحدهما بلاغي استدلالي والآخر تداولي مقامي، وتتسع زوايا النظر لهذا النموذج . بلاغة التمثيل . في آية رحبة من آي الذكر الحكيم؛ حيث تكاملت فيها وجوه البلاغة وطرائق الاستدلال وقوة الحُجَّة من جانب ، وتآزرت فيها أبعاد التداول ومراتب التأويل بحمولاته المقامية والمقالية والدلالية من جانب آخر، وتأسست فيها الاختيارات اللغوية البالغة في ترابط وإحكام لغوي وبياني قويم، يفضي كل ذلك إلى نظام معجز في الأسلوب والاستعمال والبلاغة والنظم بشكل عام، وفي معرِض ذلك مدعاة إلى حفز معرفي مثير للمفاتشة والمكاشفة والتنقيب عن طبيعة هذا النموذج واستعمالاته الاستدلالية والبلاغية والتداولية ونظام حجته ووجوه تأويله.

ويهدف البحث إلى استظهار مكونات بلاغة ذلك النموذج ومقوماتها الاستدلالية والكشف عن أبعادها التداولية مقاماً ومقالاً، إلى جانب الوقوف على الحقول الدلالية والمقاصد الرحبة التي تراحمت في سياقاتها وأثْرَت المضامين الكلية لهذا النموذج في مكون النور الكلي لهذه الآية الكريمة خاصة وللسورة بوجه عام، ووفق ذلك **كان إشكالها المعرفي** يجابه جملة الأنساق البلاغية في وجوهها الاستدلالية وأبعادها التداولية وموجهاتها التأويلية ومسالك حججها، ومدى أثر ذلك في مقاربة المقصود الأسمى لمعاقدها، والبيان الأوفى للفهم عن مراد الله تعالى، والأثر الدلالي العميق في الاستجابة لهذا النظم القرآني الإقناعي الفريد والاستجابة لمؤثراته ومستتبعاته المعمقة والممتدة عبر مساراته التأويلية ومداراته التداولية الجامعة، ولعل أهم **الأسئلة المعرفية** المحيطة بهذا الإشكال، تتمثل في: ما بلاغة التمثيل؟ وما وجوه استدلالاتها؟ وما دورها في تحليل الخطاب القرآني؟ وما أبعادها التداولية في آية النور؟ وكيف تشكلت حججها وبناء نظمها؟ وإلى أي مدى تنوعت وجوه تأويلها؟ وكيف تأسست باختياراتها ونظمها وأضحت وجهاً معجزاً؟ وما وجوه الحجج التي استقامت واستطالت في بنائها الاستدلالي؟ وما مقاصد ذلكم التمثيل وقيمه في رحاب الآية الكريمة؟

الكلمات المفتاحية: بلاغة التمثيل ، التداولية ، بلاغة النظم ، آية النور ، مقاصد التمثيل.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٠٨/١٤ **تاريخ القبول:** ٢٠٢٤/٠٩/٢٣

The Rhetoric of Representation and Its Pragmatic Dimensions in the Qur'anic Discourse
“Verse of Al-Nour as am model”

Asst.Prof.Dr. Lamia Muhammad Hamoud Al-Matrafi
College of Arabic Language / Umm Al-Qura University / Mecca

Abstract

This research constitutes an important field of discourse analysis. It seeks to attempt to highlight models that are disciplined in method and procedure in analyzing the Qur’anic discourse and ways of interpreting it. Therefore, its importance comes from the fact that it deals with a rhetorical model that combines two important dimensions, one of which is rhetorical inferential and the other deliberative in position, and the angles of view of this model - the rhetoric of representation - expand in a spacious verse of the verse mentioned. the wise; Where the aspects of rhetoric, the methods of inference, and the strength of the argument were integrated on the one hand, and the dimensions of pragmatics and the levels of interpretation combined with its metaphorical, essayistic, and semantic loads on the other hand, and the profound linguistic choices were established in a strong linguistic and graphic coherence and precision, all of which leads to a miraculous system of style, usage, rhetoric, and systems in a perfect way. In general, this is a reason for an exciting cognitive stimulus for exploration, disclosure, and exploration into the nature of this model, its inferential, rhetorical, and deliberative uses, its argument system, and its interpretations. In this regard, it is of great importance.

The research aims to highlight the components of the rhetoric of that model and its inferential components, and to reveal its pragmatic dimensions in both positions and articles, in addition to identifying the semantic fields and broad purposes that intertwined in their contexts and influenced the overall implications of this model in the component of the total light of this noble verse in particular and of the Surah in general, and in accordance with that, its problem was The epistemologist confronts the totality of rhetorical systems in their inferential aspects, their pragmatic dimensions, their interpretive directions, and the paths of their arguments, and the extent of their impact on approaching the highest purpose of their complexes, the most complete statement of understanding about the intent of God Almighty, and the profound semantic impact in responding to this unique persuasive Qur’anic system and responding to its influences and implications that are deep and extended through its interpretive paths. Its comprehensive deliberative circles, and perhaps the most important cognitive questions surrounding this problem, are: What is the rhetoric of representation? What are the aspects of its inferences? What is its role in analyzing the Quranic discourse? What are its pragmatic dimensions in the Verse of Light? How were its arguments formed and its systems built? To what extent have its interpretations varied? How was it established through its choices and systems and became a miraculous face? What are the aspects of the arguments that were established and prolonged in their inferential construction? What are the purposes and values of this representation within the context of the noble verse?

Keywords: the rhetoric of representation, pragmatics, the rhetoric of argument, inference, the Verse of Light.

Received: 18/08/2024 **Accepted: 23/09/2024**

المقدمة

الحمد لله نور السموات والأرض، جامع الناس ليوم لا ريب فيه، رب كل شيء وخالق كل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين الذي أرسله الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فكان النور المبين، والرحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن القرآن الكريم في معرِض أحكامه وقصصه وأمثاله وطرائق أسلوبه قد اشتمل على وجوه عديدة من التمثيل في أنساقه البلاغية وسياقاته التعبيرية، ومن ينعم النظر في ذلك يجد أنه قد كثر فيه إيضاح الأمور المعنوية بالصور المرئية المحسوسة، وكانت بلاغة التمثيل هي إحدى الطرائق الأسلوبية والاستدلالية التي هيمنت على كثير من الوجوه المنظورة والمسطورة في الخطاب القرآني، وخاصة تلك التي تعالج القضايا الإنسانية الكبرى المتعلقة بالقيم والسلوك والمعاملات من جانب، والمرتبطة بالعقائد والتشريعات والقصص والأمثال السائرة في الأمم والأقوام من جانب آخر، وذلك من خلال ورودها في صور حيَّة جامعة لكل التصورات والأفكار التي يستند عليها البناء اللغوي في معرِض نظمها والتعبير عنها في لغة بيانية وأسلوب تمثيلي بديع في طرائقه التي جرت عليها أنظمة التمثيل القرآني الجامع بين التواصل والتفاعل والتداول، ويكون فيها القول موصولاً بالفعل، وهذا ما يجعله مرتبطاً بالمجال التداولي الذي يقتضي دراسة الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، وما يترتب على ذلك من مراعاة كل مقامات الكلام في جميع أزمنتها وأمكنتها، وهو ما أثبتته بلاغته كذلك وفق مفهوم المطابقة ورعاية مقتضى الحال في وجوهها التركيبية والبيانية والبديعية، وما يستتبعها من مقتضيات واستدلالات.

ويتوجه موضوع هذه الدراسة إلى آية النور التي تمثل درة العقد في السورة ذاتها، بل تمثل النموذج التشريعي الأسمى الذي يشمل شرع الله في الأمر كله، هذا التوجه له مداخل عديدة تناولته بأدوات متنوعة ووجوه نظر متعددة، وإنما ينحصر توجه تلك الدراسة إلى هذه الآية من الوجهة البلاغية التداولية التي يتحدد النظر بها في البحث عن الأسرار والمقاصد والمضامين التي أفاضت بها هذه الآية وبما لها من صلات سياقية سابقة ولاحقة تكشف عن البعد التداولي والبلاغي للتمثيلات الواردة في حدودها، وتقف بهذه الوجهة على بلاغة الاختيار لمفرداتها ونظمها وإعجازها، وما يؤديه البعد التمثيلي من استدلال برهاني داحض لكل منكر أو مجانب لنور الشريعة، وما يقره كذلك من ركائز في نفوس المؤمنين وما يستوجبه حالهم السلوكي والاجتماعي والعقدي في تعاملاتهم وعباداتهم، وذلك في نظام من التعبير المفعم بالاستعمال البلاغي المعجز الذي راعي بين مقامات الاستعمال والاستكمال، ومقالات المفردات ونظمها ومناسبتها وملاءمتها للسياق بوجه عام الذي جرت فيه تمثيلات الآية وإحكامها وظهر فيها الموضوع ظهوراً لا لبس فيه ولا خفاء، وكانت في الحين ذاته جامعة لقواعد المجال التداولي الباعث على التواصل والتفاعل والراصد لحركة المقال والمقام معاً استعمالاً واستجابة واستقبالاً، وهذه القواعد حددها طه عبدالرحمن في أقسام ثلاثة، ولكل قسم منها جملة من الخواص والميزات، وقد حصرها في القسم العقدي والقسم اللغوي والقسم المعرفي، وتنزل هذه القواعد منزلة المبادئ الأولى التي تتفرع منها المظاهر الثقافية والحضارية الأصلية، والتي تمتحن بها قيمة المظاهر الثقافية والحضارية المنقولة، وليس في جميع الأمم، أمة أوتيت من صحة العقيدة وبلاغة اللسان وسلامة

العقل مثلما أوتيت أمة العرب، تفضيلاً من الله، فالعرب يفضلون غيرهم بما أوتوا من بيان في اللسان، وحجة ذلك أن القرآن نزل بلغة العرب ولم ينزل بلغة غيرهم، ورزقوا ديناً لم يرزقه غيرهم، وأوتوا رجاحة في العقل لم تتقدم لغيرهم، وذلك بما لهم من فطرة صحيحة وفراسة فائقة وجبلوا على سديد الحكمة وكريم الفضيلة، وخصُّوا بشرع زاد منطقهم الموهوب صفاء وكمالاً، وبلسان زاد نطقهم الطبيعي تصرفاً واتساعاً (١) .

ولهذا كان من **أهم الدوافع والأسباب لاختيار هذا الموضوع** دقة المجال التمثيلي وأبعاده التداولية التي تعكس إحكام الخطاب القرآني وجودة ترابطه ونظمه، وبذلك يعد وجهاً من وجوه الإعجاز البلاغي الذي اعتمده القرآن الكريم في التعبير والتأثير والتوجيه والإقناع، واستيعابه لقواعد التداول العقدية واللغوية والمعرفية؛ الأمر الذي دعا الباحثة للنظر في بلاغة هذا النموذج التمثيلي ومساءلة وجوهه وقواعده التداولية ومباحثة أسراره البلاغية والأسلوبية وطرائق حججه واستدلالاته، إلى جانب الكشف عن سبل استنباط المعاني والمقاصد القرآنية من خلال بلاغة التمثيل ومستتبعاتها الاستدلالية والتداولية، وما لذلك من أثر في تثبيت العقيدة وترسيخ عرى الإيمان والاستجابة لأنوار الشريعة في مختلف وجوهها وضوابطها في الخطاب القرآني المعجز.

وتأسيساً على هذه الدوافع **جاءت أهمية البحث** ليعالج تلك الآية وما يرتبط بسياقها السابق واللاحق على وفق نموذج بلاغي جامع بين بعدين مهمين، أحدهما بلاغي استدلالي والآخر تداولي مقامي، وتتسع زوايا النظر لهذا النموذج . بلاغة التمثيل . في آية رحبة من آي الذكر الحكيم؛ حيث تكاملت فيها وجوه البلاغة وطرائق الاستدلال وقوة الحُجَّة من جانب ، وتآزرت فيها أبعاد التداول ومراتب التأويل بحمولاته المقامية والمقالية والدلالية من جانب آخر، وتأسست فيها الاختيارات اللغوية البالغة في ترابط وإحكام لغوي وبياني قويم، يفضي كل ذلك إلى نظام معجز في الأسلوب والاستعمال والبلاغة والنظم بشكل عام، وفي معرِض ذلك مدعاة إلى حفز معرفي مثير للمفاتشة والمكاشفة والتنقيب عن طبيعة هذا النموذج واستعمالاته الاستدلالية والبلاغية والتداولية ونظام حجته ووجوه تأويله، فهو بذلك النظر من الأهمية بمكان ومن الضرورة بالبحث والتنقيب.

ولم تكن غاية البحث الوقوف على البعد التداولي في بلاغة التمثيل في الآية الكريمة من منظور لساني مطلق أو من خلفيات معرفية لها حقولها الإبستمولوجية الخاصة التي خاض في بيانها ومعالجتها العلماء الغربيين بمختلف مناهجهم ومذاهبهم وبيئاتهم التي تنوعت وتعددت في معارف بينية مختلفة وكثيرة، وتكاثرت معها التطبيقات من نصوص نثرية وشعرية، لها ما لها وعليها ما عليها، وإنما كانت الإفادة من المنقول بما يوافق المأصول في نظام البيان والعقيدة والمعرفة وما يستوعبه الخطاب القرآني في الآية الكريمة وسياقاتها السابقة واللاحقة، من مجالات لا تتعارض مع قدسيته ومراعاة المتكلم وهو المولى ﷻ بأسمائه وصفاته، وما ينبغي له من القول، وما لا ينبغي لنا من القول أو التأويل بما لا يقبله كلامه السامي وخطابه المجيد وبيانه المعجز من تجاوزات أو مزايدات، وفي ذلك يكون الحذر في التعامل مع أيّ بُعْد أو مبدأ تداولي يتنافى مع مبادئ المجال التداولي المرتبط بالأنظمة الثلاثة اللغة والعقيدة والمعرفة، أو يحمِّل النص أو السياق حملات وتأويلات لا تتفق والمنهج القرآني في نظمه الفريد ومقاصده السامية ومضامينه الأخلاقية القويمة، فكانت المعالجة وفق خصوصية المجال التداولي العربي، ووفق أصول التقريب التداولي الإسلامي والعربي كذلك، بما يضمن للمأصول أصالته، وللمنقول مقاربته بما يتوافق

مع خصوصية الخطاب ونصوصه، وفي ذلك تتداخل معها المعطيات البلاغية الأصيلة لبلاغة التمثيل واستدلاله القياسي، وربطه الأصول بالفروع، وإعمال الفكر والاجتهاد في التأويل للربط بين التمثيل وما يقرره من دلالات ومقاصد.

وتأتي مشكلة البحث في مجابهة جملة الأنساق البلاغية بوجوهها الاستدلالية وأبعادها التداولية وموجهاتها التأويلية ومسالك حججها، ومدى أثر ذلك في مقاربة المقصود الأسمى لمعاقدها، والبيان الأوفى للفهم عن مراد الله تعالى، والأثر الدلالي العميق في الاستجابة لهذا النظم القرآني الإقناعي الفريد والاستجابة لمؤثراته ومستتبعاته المعمقة والممتدة عبر مساراته التأويلية ومداراته التداولية الجامعة، وهذه من الفجوات المعرفية والثغرات التي تحاول الدراسة سدها ومقاربة حلولها وبيانها وتفسيرها بوجوه بلاغية تداولية ناجعة.

وانبنى على هذا المشكل البحثي جملة من **الأسئلة المعرفية** المحيطة به، يمكن بيانها في وجوه المساءلة المنتظمة في: ما بلاغة التمثيل؟ وما وجوه استدلالاتها؟ وما دورها في تحليل الخطاب القرآني؟ وما أبعادها التداولية في آية النور؟ وكيف تشكلت مفرداتها وحججها وبناء نظمها؟ وإلى أي مدى تنوعت وجوه تأويلها؟ وكيف تأسست باختياراتها ونظمها وأضحت وجهاً بلاغياً معجزاً؟ وما وجوه الحجج التي استقامت واستطالت في بنائها الاستدلالي؟ وما مقاصد ذلكم التمثيل وقيمه في رحاب الآية الكريمة؟

وجاء **منهج البحث** في نطاق **المقاربة البلاغية البيانية**، بوصفها إحدى مناهج تحليل الخطاب، مع الاستشفاع ببعض المنطلقات المنهجية النازعة من الاستدلال والتأويل والتحليل عند المفسرين واللغويين.

وهناك العديد من **الدراسات السابقة** التي تناولت السورة كاملة وأجزاء منها، غير أن تلك الدراسات لم تتوجه بأدواتها ومناهجها شطر الآية بهذا الإجراء الذي اتخذه هذا البحث وبهذه الكيفية الخاصة ببلاغة التمثيل تحديداً وما يتعلق بها من أبعاد تداولية في النظام المقالي والمقامي على حد سواء، ومن هذه الدراسات،

- بحث منشور في مجلة كلية التربية جامعة طنطا، العدد ٥٤، عام ٢٠١٤م، وكان بعنوان: آية النور في سورة النور، معان وأسرار، للباحثين: د. سليمان علي الشعيلي، د. أحمد فريد صالح، ويختلف البناء والمنهج والمعالجة عن توجه هذه الدراسة.
- آية النور: دراسة في التفسير المقارن، المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية - سلسلة العلوم الإنسانية، جامعة العلوم التطبيقية الخاصة - عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، للباحث أحمد سليمان الرقيب، المجلد/العدد: مج ١٣ , ع ١، عام ٢٠١١م، ولا توجد نقاط اتفاق بين الدراسين فلكل وجهة ومنهج يختلف اختلافاً تاماً عن الآخر.
- سورة النور رؤية بيانية، للباحثة وفاء فيصل إسكندر محمد، كلية التربية جامعة الموصل، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، المجلد٩، العدد١، عام ٢٠٠٩م، وهذا البحث يختلف عن وجهة هذه الدراسة، وذلك لكونه يجيل النظر في السورة بأكملها في مقاطع ثلاثة (الحدود . المشاهد الكونية . الآداب الاجتماعية)، وبمنهج مغاير لمنهج دراستي، فيختلفان في المعالجة والتحليل والموضوع. وما جاء في بقية الدراسات تختلف اختلافاً كلياً عن عنوان هذه الدراسة ومنهجها وطرائق معالجتها.

ووفق ما تقدم جاءت **خطة البحث** منتظمة في مقدمة وتمهيد ومبحثين، تضمنت المقدمة أهمية الموضوع وأهدافه ومشكلته وأسئلته ودوافع اختياره والدراسات السابقة ومنهجه وخطته؛ **حيث تصدى التمهيد لمعالجة** مشكل التمثيل في دلالاته وعلاقاته وتداوليته، فعالج دلالات التمثيل وعلاقاته بحقول البلاغة والنقد وتداولية التمثيل ومجالاته، وأفعال الكلام المنضوية في بنائه العام، في حين **جاء المبحث الأول** معالجاً نموذج التمثيل بين البلاغة والاستدلال، وفيه مطلبان، الأول : بلاغة الاختيار في تمثيل النور ، والآخر: الحجج التمثيلية وقيمها الاستدلالية، **وأما المبحث الثاني** فقد جاء بعنوان: الأبعاد التداولية في تمثيلات النور، وفيه مطلبان، الأول: الفعل الكلامي في تمثيل النور، والآخر: أنماط الأبعاد ووظائفها في تمثيل النور، ومنها البعد النظمي السياقي، والبعد الإقناعي، ثم جاءت الخاتمة راصدة لأهم نتائج البحث التي تم التوصل إليها، وتلاها ثبت بمصادر البحث ومراجعه.

التمهيد

مشكل التمثيل في دلالاته وعلاقاته وتداوليته

دلالات التمثيل بين اللغة وتحولات المصطلح:

١ـ١ الموقف اللغوي وثباته الدلالي:

للتعرف إلى طبيعة مفهوم التمثيل يحيلنا ذلك إلى بيان نسقه اللغوي والبلاغي الخاص به، الذي يمنحه فاعلية وأثراً ممتداً في نفوس المتلقين والمخاطبين بشكل عام، غير أن ذلك لا يدعو إلى الإفاضة في الحديث عن الفروق والاختلافات التي وردت عن التمثيل، وسنضرب عنها الذكر صفحاً؛ بوصفها صوراً ووجوهاً للفعل مثَّل، ولكن تجدر الإشارة في إيجاز إلى تعدد دلالات التمثيل التي توزعت في حقول معرفية متعددة؛ إذ أشارت الدلالة اللغوية إلى أن التمثيل مصدر مثَّل المضعف العين كالتكريم والتعظيم، واللغة لا تفرق بين التشبيه والتمثيل، فقد جاء في العين: " المثال : الشيء يضرب للشيء فيجعل مثله والمقال الحديث نفسه، والمثل: شبه الشيء في المثال والقدر ونحوه حتى في المعنى، ويقال: ما لهذا مثيل، والمثال: ما جعل مقدراً لغيره، وجمعه مثل وثلاثة أمثلة المثول الانتصاب قائماً والفعل: مثل يمثل، والتمثيل: تصوير الشيء كأنه تنظر إليه " (٢) ، وإلى المعاني نفسها ذهب ابن فارس وابن سيدة والفيروز آبادي وأبو البقاء الكفوي، وغيرهم من أهل المعجمية القديمة والمعاصرة (٣).

فاللغويون لم يفرقوا بين التشبيه والتمثيل، وقد أدخلوا التمثيل في باب التشبيه؛ ذلك لأنهم يقولون: شبهته إياه، وشبهته تشبيهاً، مثَّلته، فيجعلون التشبيه والتمثيل مترادفين (٤)، وتبعهم في ذلك بعض المفسرين والأدباء كالزمخشري وابن الأثير وغيرهم من أهل اللغة والنحو.

١ـ٢ الموقف الاصطلاحي وتحولاته:

لقد درس البلاغيون والنقاد مفهوم التمثيل بشكل تظهر فيه درجات التفاوت والتطور في كل مرحلة من مراحل الدلالة الاصطلاحية، وارتبط عندهم في البدايات الأولى لتأسيس المصطلح بأنماط البيان المتنوعة ـ التشبيه والاستعارة والمجاز ـ ومن أهم المحاولات التي تأسست في ذلك المجال ما عرضه قدامه بن جعفر في نقد الشعر؛ إذ جعله من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى، وحدده بدلالة "أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدل على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان

عما أراد أن يشير إليه" ([٥])، وجاء ابن وهب الكاتب ليفرد له باباً صغيراً في كتابه (البرهان في وجوه البيان)، متحدثاً عنه من زوايا المثل في قوله : أما الأمثال فإن الحكماء والعلماء والأدباء لم يزالوا يضربون الأمثال ويبينون للناس الأحوال بالنظائر والأشباه والأشكال، ويرون هذا النوع من القول أنجع مطلباً، وأقرب مذهباً، وإنما فعلت العلماء ذلك؛ لأن الخبر في نفسه إذا كان ممكناً فهو محتاج إلى ما يدل على صحته، والمثل مقرون بالحُجَّة ([٦])، ونظر ابن وهب للتمثيل من هذه الزاوية نظرة دلالية جامعة بين الأشباه والنظائر؛ حيث يكون الممثل به دليلاً مقنعاً ومجسداً للفكرة التي تستوعبها الحمولات الدلالية في الممثل له، ويدل ذلك على أن التمثيل لديه قائم على طرفين، أحدهما يرتكز على فكرة عقلية تُجَسَّدُ بصورة حسية في الطرف الآخر، وتكون الغاية والهدف والوظيفة من كل ذلك إثبات الحُجَّة والإقناع بها وفق مؤثرات هذا النموذج.

في حين يرى علي بن عبد العزيز الجرجاني في الوساطة أن التمثيل والتشبيه يأتيان بمفهوم واحد، دون أن يجعل بينهما حداً فاصلاً أو خصوصية مائزة لأحدهما على الآخر، فيرى أن التشبيه والتمثيل قد يقع تارة بالصورة والصفة، وأخرى بالحال والطريقة([٧]).

وذهب أبو هلال العسكري إلى أن التمثيل يقصد به المماثلة، وهو " أن يريد المتكلم العبارة عن معنى، فيأتي بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر، إلا أنه ينبئ إذا أورده عن المعنى الذي أراده، كقولهم: (فلان نقي الثوب)، يريدون به أنه لا عيب فيه، وليس موضوع نقاء الثوب البراء من العيوب، وإنما استعمل فيه تمثيلاً " ([٨])، وقد أورده بأنه التشبيه على سبيل الكناية، وذلك في الإشارة إلى معنى بألفاظ تدل على معنى آخر، وهو بهذا يلتقي مع من سبقه ويتقاطع مع اللغويين في الدلالة اللغوية التي لم يزد عليها بشكل مغاير عما أتوا به.

وكان لابن رشيق القيرواني نظر في جعل التمثيل ضرباً من ضروب الاستعارة، وقصد به المماثلة، فيرى أن من ضروب الاستعارة التمثيل، وهو المماثلة عند بعضهم، وذلك أن تمثل شيئاً بشيء فيه إشارة، فتحققه يكون بالإشارة، ولهذا يقرر أن " التمثيل والاستعارة من التشبيه إلا أنهما بغير أداة، وعلى غير أسلوبه" ([٩])، وفي تطبيقاته التي أوردها يتبين الاضطراب في دلالة المصطلح البلاغي لديه وخاصة التمثيل، فتارة يوسع من دلالته ليشمل صوراً متعددة من الاستعارة والكناية والتشبيه.

وجعله العلوي من باب الاستعارة كذلك؛ إذ يقول " اعلم أن التمثيل نوع من أنواع البيان، وهو مخالف للتشبيه، فإن التشبيه إنما يكون في المظهر الأداة، وهذا نوع من الاستعارة" ([١٠])، ويظهر في ذلك الخلط الواضح بين التمثيل والاستعارة وجعلهما شيئاً واحداً لديه، ولم يفرق بينهما بشكل اصطلاحي.

أما ابن سنان الخفاجي فقد جعل التمثيل شرطاً من شروط الفصاحة والبيان؛ لقيامه بوظيفة إظهار المعنى وبيانه في أحسن صورة وأوجزها، غير أنه لم يضع حداً فاصلاً بين التمثيل وغيره من المصطلحات البلاغية، وهيمنت عليه الدلالات اللغوية للتمثيل التي كانت سائدة قبله بشكل كبير، ويتقاطع مع قدامة فيما ذهب إليه من الدلالات التي قدمها وعالجها في تطبيقاته، فالتمثيل عنده يخرج القول العادي غير مخرج العادة، فيصبح غير مألوف، فيرى أن تمثيل المعنى يوضحه ويخرجه إلى الحس والمشاهدة، وهذه فائدة التمثيل في جميع العلوم([١١])، فدلالة التمثيل لم تأخذ خصوصية ومزيَّة عن غيره مما تقاطع معه من مصطلحات البحث البلاغي، وعلى هذا النحو ذهب جل النقاد والبلاغيين بخلاف بعض الإضافات التي لم تكشف عن الخصوصية البلاغية للتمثيل دون غيره من المصطلحات الواردة في معيته وأشباهه.

وعلى هذه الشاكلة عرض الرماني والخطابي للتمثيل بالكيفية ذاتها التي سبقت لدى غيرهم، كذلك الحال لدى الباقلاني الذي جعله في مبحث صريح من البديع وأسماه المماثلة، وعرفه بقوله " ومما يعدونه من البديع؛ المماثلة، وهو ضرب من الاستعارة، سماه قدامة التمثيل،...، وذلك أن يقصد الإشارة إلى معنى، فيضع ألفاظاً تدل عليه، وذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذي قصد الإشارة إليه (١٢)، فجعله ضرباً من الاستعارة وذكره أن قدامة أسماه التمثيل، دليل على أنه عكس الإرداف، فالإرداف مبني على الإسهاب والبسط، وهو مبني على الإيجاز والجمع وفي تطبيقاته لم يخرج عن سابقيه في تحديد مفهوم التمثيل ودلالاته، فكان الخلط والمزج والاضطراب هو السمة المهيمنة على ذلك المفهوم الذي لم يأخذ مفهوماً اصطلاحياً محدداً، بل تعدد بين المثل والتمثيل والمماثلة، وأدخل في باب التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز والمحاكاة، وهذا التداخل لم يمنح التمثيل صفة الاصطلاح المائز لوظائفه وأثره وأدواره التي يقوم بها في توجيه المعنى وترجيح المقصد وإثراء الدلالة، وهذا ما عالجه البلاغيون والنقاد قبل عبد القاهر الجرجاني الذي أقام التمثيل باصطلاح مغاير عمن سبقه، وجعله من مقتضيات النظم لديه، وقدَّم فروقاً علمية ومنهجية بينه وبين المصطلحات التي تقاطعت معه من التشبيه والاستعارة والمجاز، ووضعه في مكانه اللائق، وأجراه على نماذج شعرية ونثرية وقرآنية، كشف بها عن المزيَّة التي اختص بها التمثيل عن غيره من الصور البيانية الأخرى.

فعبد القاهر من أهم الذين وقفوا حيال التمثيل وبلاغته وفرق بينه وبين التشبيه والاستعارة، وسلط الضوء على الأثر العميق الذي يحدثه في نفس المتلقي، إقناعاً وإمتاعاً، ويعد أول من أفرد التمثيل من التشبيه، وجعله قسماً منه، وجعل له خصوصية مائزة عن التشبيه الصريح، وكشف عن خصوصيته في الدلالة ، وعالج هذه الخصوصية، وحاول أن يعلل سر المتعة الناجمة عن التمثيل وشدته في التأثير، وأن المعنى يَفْخُمُ به، وينبل ويشرف ويكمل، فيرى أن أول ذلك وأظهره "أن أُنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفيّ إلى جليّ، وتأتيها بصريحٍ بعد مكنيّ، وأن تردَّها في الشيء تُعلِّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتُها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقُلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، ...، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام" (١٣).

ويفرق بين التشبيه والتمثيل في قوله: " فاعلم أن التشبيه عامٌّ، والتمثيل أخصُّ منه، فكل تمثيلٍ تشبيهٌ، وليس كل تشبيهٍ تمثيلاً" (١٤)، وذلك بعد أن قدَّم بياناً عن الشيئين إذا شُبِّه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين: أحدهما : أن يكون من جهة أمر بيِّنٍ لا يحتاج إلى تأوّل، والآخر: أن يكون الشَّبه محصّلاً بضرب من التَّأوّل، وهذا النوع الذي طريقه التأول يكون في التمثيل الذي يتفاوت تفاوتاً شديداً، فمنه ما يقربُ مأخذُه ويسهُل الوصول إليه، ويعطي المَقَادةَ طوعاً، حتى إنه يكاد يداخل الضرب الأول الذي ليس من التأوُّل في شيء، ومنه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمّل، ومنه ما يدِقُّ ويغمُض حتى يُحتاج في استخراجه إلى فضل رويَّةٍ ولُطْفِ فكرةٍ (١٥).

ومن نافلة القول أن عبد القاهر يكشف بنظر بلاغي واسع ووعي معرفي عميق عن فضيلة التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، مبيناً دوره الكبير في إقامة الحجة والتأثير، والمشاهدة وإبداع الخيال، كذلك الإبانة عن الدلالات الحافة والإضافية التي تتأتى من جراء استعمالاته وتوظيفه في المقاصد والأغراض والمضامين التي يزيد من تكثيفها وترجيحها بشكل ملموس ومؤنس في

سياقاتها التعبيرية وأنساقها الأسلوبية الراصدة لحركات تلك المعاني والدلالات، فيرى أن " التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهةً، وكَسَبَها مَنْقَبَةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكَلَفًا ، وقَسَر الطباع على أن تُعطيها محبَّة وشغفاً. فإذا كان مدحاً، كان أبْهَى وأفخم، وأنبلَ في النفوس وأعظم، وأهزَّ للعِطْف، وأَسْرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على المُمْتَدَح، وأوجب شفاعةً لمادح، وأقضى له بغُرِّ المواهب والمنائح، وأسْيَر على الألسن وأذكَر، وأولى بأن تَعْلَقه القلوب وأجدر، وإن كان ذمًّا، كان مسُّهُ أوجعَ، ومِيسَمُه ألذع، ووقْعُه أشد، وَحَدُّه أحَدّ، وإن كان حجاجاً، كان بُرهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر، وإن كان افتخاراً، كان شَأْوُه أمدّ، وشَرَفُه أَجَدّ، ولسانه أَلَدّ، وإن كان اعتذاراً، كان إلى القلوب أقرب، وللقلوب أَخْلَب، وللسَّخائم أَسلّ، ولغَرْب الغَضَب أَفلّ، وفي عُقَد العُقود أَنْفَث، وعلى حُسْنِ الرجوع أَبْعث، وإن كان وعظاً، كان أشْفى للصدر، وأَدْعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزَّجر، وأجدر بأن يُجَلِّيَ الغَيَاية، ويُبَصِّر الغاية، ويُبْرئ العليل، ويَشْفي الغليل، وهكذا الحُكم إذا استقريْتَ فنونَ القولِ وضروبَه، وتتبَّعْتَ أبوابَه وشعوبه" ([١٦]).

فالتمثيل بكل هذه الأوصاف من جهة عبد القاهر، "يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المُشْئِمِ والمُعْرِق، وهو يريك للمعاني الممثَّلة بالأوهام شَبَهاً في الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويريك التئامَ عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين، كما يقال في الممدوح هو حياة لأوليائه، موت لأعدائه، ويجعل الشيء من جهةٍ ماءً، ومن أخرى ناراً، ...، ويجعل الشيء أسود أبيض في حال، ويجعل الشيء كالمقلوب إلى حقيقة ضده، ويجعل الشيء قريباً بعيداً معاً، ومشرَّقاً مغرِّباً، وسائراً مقيماً، ...، وأن للتمثيل في هذا المعنى المَدَى الذي لا يُجَارَى إليه، والباع الذي لا يطاوَل فيه، كالاحتجاجات للضرورات، وكفى دليلاً على تصرُّفه فيه باليد الصَّنَاع، وإيفائه على غايات الابتداع، أنه يريك العدم وجوداً والوجود عدماً، والميت حياً والحي ميتاً"([١٧])، فالقضية المهمة التي تنسب إلى الدقة والتلاؤم والائتلاف تكمن لديه في التمثيل، فيحضر فيه إعمال العقل والحس معاً، فالمعنى إذا أتى ممثَّلاً فهو في الأكثر ينجلي بعد أن يحوج إلى طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له والهِمَّة في طلبه، وما كان منه ألطف كانت امتناعه أكثر، وإباؤه أظهر، واحتجابه أشد، ولهذا يؤكد مذهبه في ذلك بقوله: " ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزِيَّة أولى، فكان موقعه من النفس أجلّ وألطف، وكانت به أضَنَّ وأشْغف" ([١٨]).

وعلى هذا فإن عبد القاهر قد انفرد في جعل الوجه في التمثيل عقلياً سواء كان مفرداً أو مركباً؛ إذ يفسح مجالاً للإفراد والتركيب معاً، شريطة أن يكون عقلياً يتكئ على الفكرة ويحتاج إلى تأول كما أشار سابقاً، فالمعاني الشريفة اللطيفة لابد فيها من بناء ثان على أول، ورد تالٍ إلى سابق، ولهذا يثبت مذهبه ذلك في قوله: " وإنما الصَّنعة والحِذْقُ، والنظر الذي يَلْطُف ويَدِقّ، في أن تجمع أعناق المتنافرات والمتباينات في رِبْقة، وتُعقَد بين الأجنبيات معاقد نسَب وشُبْكة، وما شرُفت صنعةٌ، ولا ذُكر بالفضيلة عملٌ، إلا لأنهما يحتاجان من دِقَّة الفكر ولُطف النظر ونَفاذ الخاطر، إلى ما لا يحتاج إليه غيرهما، ويحتكمان على مَن زَاوَلَهما والطالبِ لهما من هذا المعنى، ما لا يحتكم ما عداهما، ولا يقتضيان ذلك إلا من جهة إيجاد الائتلاف في

المختلفات" ([١٩])، وله تفصيلات في ذلك كثيرة وتطبيقات على مذهبه عديدة، يتابع عرضها في منهجية منضبطة، وبيان راسخ لقيم التمثيل ووظائفه ودلالاته العميقة المتراحبة.

إذن مفهوم التمثيل عند عبد القاهر هو كل تشبيه كان وجه الشبه فيه عقلياً مفرداً أو مركباً غير حقيقي، ويحتاج في تحصيله إلى تأول، وبهذا يكون التمثيل لدى عبد القاهر مراعياً الأثر الذي ينتج عن وجه الشبه؛ إذ بيَّن أن ما يقتضيه تشبيه المعقول بالمحسوس من أنس النفس وميلها ليس في وجه الشبه ذاته، وإنما في لازم وجه الشبه؛ أي معنى المعنى، أو ظل المعنى، أو المعاني الثواني، وهو أثر ناتج عنه، ولهذا جعل التمثيل في هذا الباب الذي خصَّه بمفهوم "معنى المعنى"، وجعل التمثيل ضمن أنماطه ونماذجه ؛ إذ يقول: " الكلام على ضربين : ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ...، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يَدُلُّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعُه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض. ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل" ([٢٠])، فوجه الشبه عنده صورة حسية تتمثل في الأمر المعقول(المشبه) نتجت عن تشبيهه بأمر حسي (المشبه به)، وخلاصة ذلك عند عبد القاهر أن التمثيل يقوم على تمثيل أو تصور فكرة عقلية أو نفسية أو انفعالية أو غيرها مما يدرك بالعقل، ثم تجسد في صورة حسية، فالتمثيل سُمي تمثيلاً لديه؛ لأنه يمثل الأمور المعقولة ويجعلها شاخصة ماثلة في هيئة أو أمر محسوس، وهذا ما استقر عليه الجرجاني في مذهبه عن التمثيل الذي هو عنه صنف من أصناف معنى المعنى، ومما يحتاج فيه إلى تأول وإعمال فكر ونظر.

في حين يذهب السكاكي إلى "أن التشبيه متى كان وجهه وصفاً غير حقيقي، وكان منتزعاً من عدة أمور خُصَّ باسم التمثيل"([٢١])، فالتمثيل عنده ما توافر فيه أمران؛ أحدهما: أن يكون وجه الشبه أمراً عقلياً تصورياً لا وصفاً حقيقياً، والآخر: أن يكون وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد، فشرطه عند السكاكي أن يكون الوجه عقلياً، وأن يكون مركباً (صورة منتزعة من متعدد) وهو بهذا خالف عبد القاهر في الإفراد؛ إذ جعله أو أجراه عبد القاهر في الإفراد أو التركيب، وقد وسَّع الخطيب القزويني ـ الذي لخَّص كتاب السكاكي/ المفتاح ـ رؤيته في النظر إلى التمثيل، ليجعل وجهه غير قاصر على العقلي التصوري فقط، وإنما أجاز أن يكون حسياً كذلك، مع الاحتفاظ بشرط التركيب دون الإفراد مثلما ذهب السكاكي، وعلى هذا كان التمثيل لدى القزويني صورة منتزعة من متعدد(وهذا هو وجه التركيب)، وهي عقلية أو حسية في الوقت ذاته ([٢٢])، وهذا ما استقر عليه جمهور البلاغيين بعده، وصار متداولاً في البحث البلاغي بعد ذلك.

وإن كان مذهب عبد القاهر حول التمثيل، يكشف في مضمونه ومقتضاه ـ الذي أورده في كثير من تفصيلاته وتطبيقاته ـ عن أن ما يدرك بالعقل إفراداً أو تركيباً يجسده ويشخصه في صورة حسية جديدة تختلف عما كانت عليه قبل التمثيل، وهذه تتأتى من كون دلالته تجري فيما أسماه معنى المعنى أو المعاني الثواني.

وللتمثيل علاقات تقاطع وتقارب بينه وبين مصطلحات البلاغة والنقد والمنطق والفقه من مثل التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز، والقياس، والتخييل، والتصوير، والمحاكاة، والإبداع، والغرابة، والتأويل، ومعنى المعنى، ويطول المقام ويتسع في حال الوقوف أمام هذه العلاقات التي تعكس مدى القيم الجمالية والتربوية والأدبية والوظيفية التي يقدمها التمثيل في حضوره السياقي والمقامي، الأمر الذي يجعل منه أبعاداً تداولية ومعرفية في الحقول البينية، وبما له من خواص

نوعية وأسلوبية مائزة تقتضي حضوره البياني والتصويري والمنطقي والفقهي وغيرها من المجالات، فدورانه المعرفي في تلك الحقول جعلت منه نموذجاً تداولياً وبعداً يراعي مقتضيات الأحوال وأنظمة الاستعمال، ويسهم بمختلف حمولاته ومكوناته في توجيه الدلالات وترجيحها،

١-٣ تداولية التمثيل والأفعال الكلامية

لا يُعنى البحث بدراسة التداولية في ذاتها - باعتبارها علما قائما في مجال الدراسات اللسانية، وكونها تدرس اللغة أثناء الاستعمال في المقامات المختلفة، وبحسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين، فهذا أمر يطول معالجته ومناقشته - **و إنما يحاول توظيفها واستثمار إمكاناتها المعرفية وكفاياتها المنهجية التي تتقاطع مع المعطى البلاغي التراثي في مراعاة مطابقة الكلام لمقتضى الحال**، وبما يحقق التواصل اللغوي والتخاطب الإنساني، وبما يضمن لجانب من أبعادها المتمثل في الفعل الكلامي أن يعين على إدراك علاقات جديدة في الأقوال والأفعال والأشياء في العملية التخاطبية التي يحكمها النظام اللغوي المدمج بمختلف مستوياته التواصلية، وأن قوة هذه العلاقات المدرَكة تكمن في قوة فعل الكلام ، ولازم فعل الكلام، والنموذج التمثيلي التصوري يشغل جانباً معرفياً من هذا التكوين، وعليه يكتسب التمثيل إلى جانب بلاغته البيانية التصويرية المعلومة، جانباً تداولياً في أفعاله ولازم أفعاله، التي تتعلق بمزيَّته الوظيفية في ارتباطه وانطلاقه وانضوائه تحت مقولات معنى المعنى.

ومن نافلة القول في سياق هذا التصور أن التمثيل يأتي في قيمة تداولية تراعي **فحص منطق الاستعمال ومقتضيات الإرسال، فيضيف إلى وظائفه البيانية والتصويرية وظائف تواصلية وتخاطبية لها القدرة على إعادة النظر وإمعان التدبر في مقدّرات الخطاب ومتعلقاته ودوره في التواصل والتفاعل والتأثير والإقناع، وهذا هو مقتضى التداول على حد قول طه عبدالرحمن الذي يؤكد أنه جامع بين جانبين اثنين هما: التواصل والتفاعل، فمقتضى التداول إذن أن يكون القول موصولاً بالفعل** (٢٣)، **وهذا ما سيتبين ويتضح في التناول لآية النور الجامعة لتداولية التمثيل وبلاغته بكل ما فيها من حمولات دلالية وتركيبية وتصويرية وصوتية وصرفية مدمجة في نظام تفاعلي وتواصلي يراعي مقاصد المتكلم ومراده ﷻ وأحوال المخاطبين وتباين معتقداتهم واستجاباتهم و اقتناعاتهم لنوره وهدايته التي تحملها تعاليم الشرع الحنيف.**

وتداولية التمثيل في الآية مادة البحث تستند على مبادئ اللغة والعقيدة والمعرفة، وتتحقق وفق آلية الاستعمال وآلية الاستكمال؛ أي استعمال التواصل واستعمال التفاعل؛ بمعنى أن استعمال اللغة أي أن تكون مبينة، واستعمال العقيدة أن تكون راسخة، واستعمال المعرفة أن تكون نافعة، كذلك الحال في آلية الاستكمال؛ أي أن استكمال اللغة أن تكون مبلِّغة، واستكمال العقيدة أن تكون مقوِّمة، واستكمال المعرفة أن تكون محقِّقة (٢٤)، **فأنظمة التداول في بلاغة التمثيل مرتبطة بجوانب أو مبادئ ثلاثة: اللغة في نظامها الخطابي التواصلي التفاعلي، العقيدة في نظامها التبليغي الراسخ، المعرفة في نظامها النافع المحقق لمصالح المخاطبين، والانتقال بهم من الظلمات إلى النور، وإخراجهم من الضلالة إلى الهداية، وهو ذاته فعل النقل والدوران الذي تشير إليه الدلالة اللغوية للتداولية، ويدلان في الاستعمال التجريبي على معنى الحركة والتحول من في طبقات النور والهداية وما يقابها في طبقات الظلمات والضلال.**

من هنا تكون تداولية التمثيل وأبعاده في هذا البحث تقف على الوظيفة المقامية والتواصلية والتأثيرية إلى جانب القيم البلاغية البيانية والتصويرية والتخييلية العقلية، وتفاتش ممكنات الفعل الكلامي الوارد في السياق المقالي للتمثيل في الآية الكريمة، وما يقدمه ذلك الفعل من وظائف دلالية وكفايات تعبيرية وتأثيرية واستدلالية، تكشف عن المقصود وتقارب المراد وترجح الدلالات الحافَّة في أنساق الصورة التمثيلة وتصوراتها.

فالقيمة المهيمنة لهذه الأفعال التمثيلية تكمن في أنها لا تصف أعمالاً ، وإنما تصف أفعالاً، وتحلل الدلالة مع المعنى، إضافة إلى مقومات فعل التأثير في مقاصد هذه الأفعال الكلامية، وبذلك تروم هذه الآلية التداولية المتداخلة مع بلاغة التمثيل في سياق الآية السابق واللاحق، الوقوف على بناء هذه الأفعال ومساءلتها وتوجيهها، والكشف عن وظائفها الدلالية والتداولية والتركيبية والصوتية، وبيان مستويات الفعل الكلامي وذلك بعدما نرصد موضع الفعل الكلامي الذي يمثل وحدة مركبة من ثلاثة عناصر فعلية مرتبطة فيما بينها، ولا يمكن فصل بعضها عن بعض، وهذه العناصر أو الأفعال هي :

. فعل القول (الفعل اللغوي Locutionary Act): وهو إطلاق الألفاظ على صورة جملة مفيدة ذات بناء نحوي سليم، مع تحديد ما لها من معنى Sense ومشار إليه، وهذا الفعل يقع دائماً مع كل قول، لكنه وإن أعطى معنى ذلك القول، فإنه لا يزال غير كاف لإدراكنا أبعاد هذا القول.

. الفعل المتضمن في القول (الفعل الإنجازي Illocutionary Act): وهو قيام بفعل ضمن قول شيء، مقابل السابق عليه وهو القيام بفعل هو قول شيء.

. الفعل الناتج عن القول أو الفعل بواسطة القول (الفعل التأثيري perlocutionary Act): وهو الفعل المتسبب في نشوء آثار في مشاعر أو أفكار أو أفعال المخاطب والمؤولين للنص بما يسمح بتحقيق التفاعل والتواصل مع القول على نحو كان الفاعل، أي المتكلم، قد عمد إلى إيجاده وإثباته وقصده وبيانه، ومن شواهده الإقناع والقياس والتمثيل ، وغيرها، وهذا يدل على أن لكل تعبير مستويين اثنين، مستوى مقالي يتمثل بالفعل القولي، ومستوى مقامي يتمثل بالفعلين الإنجازي والتأثيري [٢٥].

ويكون الهدف الموجه لفحص هذه الأفعال الكلامية مبنياً على أن كل تواصل ذي طبيعية لسانية يتضمن أفعالاً ذات طبيعة لسانية، ولذلك إنجازية الأفعال الكلامية مرهونة بالسياق الذي تستعمل فيه، وهو في تطبيقنا سياق الآية الكريمة والسابق عليها واللاحق لها، وبهذا التوجه تكون قد اتسعت وظيفة اللغة في ظل الدرس اللساني التداولي على وجه العموم، حيث أضحت معه اللغة وسيلة للتأثير في الأفراد والمجتمعات والعالم أجمع، ومن خلالها يتم تغيير السلوك الإنساني وفق مواقف سياقية معينة، وتتأكد معها فرضية أوستين من أن التلفظ بملفوظ معين هو عين القيام بالفعل، وأن قيمة هذه الأبعاد التداولية التي يقتضيها الفعل الكلامي هي التحول في اللسانيات التداولية التي تمثل نقلة نوعية تجاوزت في دراسة الإنتاج اللغوي البنية الصوتية والنحوية والدلالية، إلى البحث في الآثار الإنجازية والمقصدية والتواصلية والتفاعلية للغة، وهي بهذا التحول تعد فضاء للإنجاز والممارسة والفعل، حيث الأمر والنهي، والاستفهام والتهديد الوعد وغيرها مما يمثل إنجازات لغوية، اشتغل عليها الدرس التداولي، ورعتها من قبل المباحث البلاغية في طبقات الكلام وأغراض المتكلم وأحوال المخاطبين ومقاماتهم.

المبحث الأول

نموذج التمثيل بين البلاغة والاستدلال في الآية الكريمة

المطلب الأول: بلاغة الاختيار في تمثيل النور:

(الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دريّ يُوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربيّة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) ([٢٦]).

دأب الأصوليون والمفسرون وبعض البلاغيين على إدراج التمثيل القرآني ضمن القياس الاستدلالي المتعلق بربط الأصل بالفرع، وكونه قياساً لشيء على شيء للمشابهة التي وضعت لها ضوابط وشروط تختلف عما يجري في التشبيه الصريح أو الذي لا يحتاج إلى تأول . على حد ما ذهب عبد القاهر . هذه المشابهة المركبة التي يعرض فيها العقلي في صورة تجسيدية وتشخيصية حسية، تمثل قالياً تمثيلياً متماسكاً ومحكماً، لا يمكن معه فصل مكوناته التي تداخلت وصارت شيئاً واحد، تعدد فيه وجوه اختيار المفردات والحركات والهيئات والمشاهد؛ ليكون التمثيل بهذه المكونات في نظامها التداولي والبلاغي مقاماً ومقالاً وسيلة لبيان المقاصد ومقاربة المراد، وآلية للكشف عن المعنى ومحاصرة دلالاته وترجيحها في اتجاه المقاصد التي يرومها الخطاب، ولذلك كان لبلاغة الاختيار دور كبير في بناء المكونات التمثيلية وإحكام صورها الظاهرة والاقتضائية؛ إذ إن"التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى، ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، وإدناء المتوهم من المشاهد، فإن كان المتمثَّل له عظيماً، كان المتمثل به مثله، وإن كان حقيراً، كان المتمثل به كذلك، فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذاً إلا أمراً تستدعيه حال المتمثّل له ...، ألا ترى أن الحق لما كان واضحاً جلياً أبلج، كيف تمثل له بالضياء والنور؟ وإلى الباطل لما كان بضد صفته، كيف تمثّل له بالظلمة؟"([٢٧]).

قبل البدء في اختيارات الآية الكريمة التي تشكلت فيها صورة التمثيل ، يمكن الإشارة إلى أن ذلك النمط البياني الذي عرضت الآية الكريمة في هيئته، إنما هو نموذج خاص في القرآن لتثبيت العقيدة الصحيحة في قلوب العباد، تلك العقيدة الإيمانية التي تتعلق بالنور والهداية والرشاد، فهي من أولى القضايا التي حرص القرآن الكريم على تثبيتها وترسيخها وتأكيدها؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الكفر إلى نور الهداية، وقد بسط الله تعالى الحديث عنها في العديد من المواضع في سور عديدة، وقدم لها الحجج البالغة والبراهين القاطعة الساطعة التي تمحو كل لبس وتزيل كل شك، وجاء بها في هذا التمثيل بشكل تصويري بياني فريد معجز، كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر، ولا يكتفي بتمثيل المعنى مصوراً، وإنما يجعل قوة تأثيره في النفوس مضاعفة، ونسبة الإذعان له والاستجابة لمقتضاه متضاعفة، ومنح المعنى مرتبة أعلى في تثبيت مقصوده ومراده وتقرير ما أراد الله ﷻ إقراره وإيصاله لجميع الناس؛ إذ في عقب الآية ضرب المثل ـ الذي انضوى تحته التمثيل ـ للناس عامة وليس لفئة خاصة، فالموقف السياقي للنور هنا توجيه عام للبشرية جمعاء، وبيان لهم، وإجلاء لصورة الهداية وبيان لعاقبتها، وعلى النقيض الاقتضائي تبين لصورة الضلال وتبين لمآله وعاقبته.

والخطاب القرآني عام وخاص في الوقت ذاته، وتتعدد الطرق والأساليب والاختيارات في كل سورة منه؛ إذ لكل منها بناء خاص وأسلوب مخصوص، وطريقة مخصصة في بناء المقاصد والمضامين، وهذه السورة التي سميت بهذا الاسم وجاءت في وسطها آية تحمل الاسم ذاته؛ لتؤكد المقصد الأسمى الذي تدور عليه، وهو الانتقال من الظلام والضلال إلى النور والهداية، فتعددت فيها مفردات الإبانة والكشف، فالسياقات التي تحمل الدلالة الحافة للنور والإبانة جاءت معضدة ومؤكدة على مركزية الآية، وما دل عليه معقلها في ذلك التوجه المركزي للسورة كلها، فجاء قوله تعالى(**و أنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون**) ([٢٨])، وقال تعالى : **(ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم)** ([٢٩])، وقال تعالى: **: (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم)** ([٣٠])، وقال تعالى: **(كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم)** ([٣١]) ، وقال تعالى: **(كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون)** ([٣٢]).

ووفق هذه السياقات الكاشفة يتضح أن البيان والظهور والكشف الناتج عن ذلك النور هو السبيل المؤدي إلى إظهار مضامين السورة وإبانتها، وكانت مفردة النور بكل دواعيها ومقتضياتها حاضرة في سباقاتها التي عالجت في مقصدها الكلي خمس قضايا لا تنفك عن تماسكها وارتباطها وتناسبها بذلك النور وتبعاته، فأبانت في القضية الأولى تنظيم العلاقات الاجتماعية وحدودها وأخلاقها، فكشفت عن حد الزنا وحادثة الإفك، من الآيات(١ -٢٦)، ثم أظهرت طرائق الآثام والكبائر والغواية والإغراء والسبل المؤدية إليها، ووسائل الوقاية والحذر منها، وآداب الاستئذان، وذلك من الآيات (٢٧-٣٤)، ثم عالجت الحديث عن النور ابتداء وانتهاء، وسبل الهداية، والأمثال التي ضربت في تمثيلات ثلاثة حيال ذلك من المؤمنين ومن الكافرين وبيان أعمالهم وعواقبه صنيعهم، وذلك في خطاب عقيدتي الإيمان والكفر، في الآيات من (٣٥- ٤٥)، ثم جاء الحديث عن أحوال المنافقين وأقوالهم والدعوة إلى اجتناب آدابهم وسلوكياتهم، وبيان وجوه تمكين الله للمؤمنين ونصرهم وتثبيتهم واستخلافهم في الأرض، وما يرتبط بالآداب الاجتماعية من استئذان ونكاح والمباح من بيوت ذوي القربى في الأكل والشراب، وذلك في الآيات من (٤٦-٥٧)، ثم القضية الخامسة والأخيرة عن عموم آداب الاستئذان، ومع النبي ﷺ خاصة، وذلك في الآيات من (٥٨-٦٤)، فمضامين هذه القضايا تأسست على المفهوم العام لمفردة النور الحسية والمعنوية ومتعلقاتها ومقتضياتها، التي كانت الأساس لدلالات عديدة ومتنوعة تمس العقيدة والآداب العامة والخاصة وسبل التعامل معها .

من الاختيارات الفريدة في تناسبها للموقف السياقي في سياق هذا التمثيل مفردات (الله . نور . السموات والأرض . مشكاة . المشكاة . مصباح . المصباح . زجاجة . الزجاجة . كوكب . دريّ . يوقد . شجرة مباركة . زيتونة . لا شرقية ولا غربية . زيتها . يضيء . تمسسه . نار . نور على نور . يهدي . الأمثال . للناس . عليم)، فهذه الاختيارات لها مسوغاتها ومقتضياها المعجمية والتركيبية والتصويرية والدلالية، وتأليفها بهذه الصورة يجعلها بديعة في نظمها وفي تناسبها وتناغمها وإحكامها في هذا النموذج التمثيلي العجيب والداعي إلى التأمل والتدبر والتفكير.

فقد بدأ التمثيل في الآية الكريمة باختيار لفظ الجلالة الله ، وفي ذلك الابتداء باسم الله تعالى إضافة الثبوت والاستمرار، ويدل على ذلك الصياغة التي جاءت في جملة اسمية، وجاءت فيها كلمة (نور) نكرة لإضافة الشمول والعموم على الكون كله، وفي اختيار كلمة لفظ الجلالة (الله) غاية عقدية، تمثلت في أن الألوهية وعقيدة الإيمان بها لهي أوثق العرى، وكان هذا

الاختيار لاسم الله دون غيره من الأسماء الحسنى؛ للدلالة على ترسيخ تلك الألوهية وتلك العقيدة في نفوس الناس وأنها النور الذي وسع كل شيء، فالكفار لم يؤمنوا بالألوهية وهي أول دعائم الإيمان الستة وأوثقها وبها تستقيم العقيدة، وعليه كان الاختيار مرهوناً بنور العقيدة ونور الشريعة اللتين يتعلقان بألوهية الله وتفرده بذلك لا يشاركه فيها أحد كان من كان، وكل تعاليمها وتشريعاتها نور وهداية للناس.

وفي دقة اختيار لفظ الجلالة (الله) قال الزركشي عن كلمة الله " قد تكلم كل ذي فن من العلوم على هذا الاسم بما لو جمع لبلغ مالا تحصره دواوين" (٣٣)، ويقول الطاهر بن عاشور:" وأحسب أن اسمه تعالى تقرَّر في لغة العرب قبل دخول الإشراك فيهم، فكان أصل وضعه دالاً على انفراده بالألوهية" (٣٤)، فالوحدانية وإبطال الشرك تقتضيهما كلمة (الله)، وهذا الاقتضاء المتمثل في وحدانية الله، وإبطال أن يكون غيره إلهاً هو الذي رشح هذه الكلمة لكي تكون أكثر الكلمات على وجه الإطلاق دوراناً في القرآن منذ أصبح موضوع الوحدانية هو الموضوع الأساسي فيه، مما قد يسمح لنا بالحديث عن بلاغة الكلمة في القرآن المتمثلة في استخدام الكلمة في السياق الأليق بها، وفي المقام الأليق بها أيضاً، ذلك أن الحديث عن وحدانية الله في القرآن كان دائماً بالتصريح أو التلميح، دعوة للمتلقين إلى الإيمان بها على محو يتحوّل معه مقتضى معنى كلمة (الله) من مقتضى معجمي إلى مقتضى تداولي (٣٥)، فالتلاؤم التداولي حاضر في ذلك الاختيار؛ إذ المقتضيات المقامية حاضرة في النظم، وقامت بدور الملاءمة بين السياق الداخلي اللغوي والمقام الخارجي، فكان اختيار لفظ الجلالة (الله) من الدقة والنظم بمكان جامع لبلاغة المقام والمقال معاً؛ لما اشتمل عليه الاسم من دلالات كونية عامة، ومن دلالات عقدية وتشريعية خاصة، ومن ارتباطه بحقول الإيمان والكفر وطبقات الناس في اعتقادهم بذلك اختياراً واعتقاداً، فكان مناسباً بشكل مطلق للنور الذي ارتبط به وأضيف إليه في صياغة التمثيل " الله نور" ، وفيه دعوة صريحة إلى تتبع دلالات النور الذي جاء نكرة لدلالات الاتساع والشمول والعموم.

وفي اختيار كلمة (نور) ما يشير إلى الكلمة المحور والدلالة المركزية التي جمعت العقلي والحسي معاً، " فمن كان من أهل نور الحق وسِم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه، وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه ويمينه، ومن كان من أهل ظلمة الباطل، وسِم بسواد اللون وكسوفه وكمده، واسودت صحيفته وأظلمت، وأحاطت به الظلمة من كل جانب" (٣٦)، وفي سياق ذلك الاختيار ذكر ابن عاشور أن الإخبار عن الله تعالى بأنه نور، إخبار بمعنى مجازي للنور(٣٧)، ورسوله نور في قوله: "يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور"، وقرآنه نور في قوله: "قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين"، فجاء اختيار هذه المفردة في بناء التمثيل القائم على المدرك العقلي بالحسي، فالكلام تمثيل لهيئة إرشاد الله المؤمنين بهيئة المصباح الذي حفّت به وسائل قوة الإشراق فهو نور الله لا محالة، وإنما أوثر تشبيهه بالمصباح الموصوف بما معه من الصفات دون أن يشبه نوره بطلوع الشمس بعد ظلمة الليل لقصد إكمال مشابهة الهيئة المشبه بها بأنها حالة ظهور نور يبدو ظلمة فتنقشع به تلك الظلمة في مساحة يراد تنويرها، ودون أن يشبه بهيئة بزوغ القمر خلال ظلمة الأفق لقصد إكمال المشابهة؛ لأن القمر يبدو ويغيب في بعض الليلة بخلاف المصباح الموصوف، وبعد هذا فلأن المقصود ذكر ما حف المصباح من الأدوات؛ ليتسنى كمال التمثيل بقبوله تفريق التشبيهات، وهذا لا يتأتى مع القمر ، فجاءت المفردة لتبين في المثل المضروب ضمن تمثيله، تشبيه حال بحال، وبها كانت تدابير الله تعالى للسموات والأرض وتعليماته للعقلاء وتسخيرها لغير العقلاء، مشبهة بنظام رتيب محكم دقيق بالنور المميز.

فصح وصف الله تعالى أو الإخبار عنه بالنور على هذا المعنى المجازي المصوّر لما نرى ونحس، ونور الله فوق ما نبصر وأعلى ما ندرك ([٣٨])، فتم اختيار النور ليكون مثلاً للهداية المؤمنة، مثلما تختار الظلمة للضلال الكافر، وبموجب هذا الاختيار يسير العقل المهتدي آمنا مطمئناً في سبل النور وهي طرائق الشرع الحنيف، في حين يتخبط العقل الضال الحائر ويتوه في سبل الظلام وهي طرق الضلال والكفر، وعلى هذا فإن النور في هذا التمثيل كان مثلاً للهداية بما يفيض من إضاءة وإرشاد وإنارة للسالكين سبل الهداية والإيمان.

كذلك الحال في اختيار المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت، دقة في الاختيار الذي يمثل حلقات الإيمان، بدءاً بشجرته ثم زيته ونوره وزجاجته ومشكاته، وهي إشارة إلى هداية الله ونوره الذي يقذفه في قلب المؤمن، هذا النور الهادي إلى الإيمان مثله في قلب المؤمن كمشكاة فيها مصباح، والمشكاة صغيرة ومحدودة، فنور المصباح بها متوهج متألق، فهو يملأها بهاء وإشراقاً، والتوهج والتألق إنما يكون كذلك لكونه ليس مصباحاً من المصابيح، بل هو مصباح ذو زجاجة وضيئة لامعة، كأنها كوكب دري ألاق، وزيت المصباح ليس كزيت آخر مما يستعمله الناس، وإنما هو زيت معتصر من شجرة زيتونة مباركة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، فيظهر للرائي والناظر أن المكان كله نور على نور، فتتبدى فيوض النور المتلألئة في بهاء، هذا كله مثله مثل نور الهداية الذي يشرق في قلب المؤمن، ويبدد ظلام الضلال والكفر أينما حل، ويطارد الظلمة أينما وجدت، ويثبت اليقين كل اليقين والاطمئنان كل الاطمئنان، فلا يسمح ببقاء خيط من غيم يحدث لبساً عارضاً أو شبهة طارئة ([٣٩])، إنه نور يجلو الفطرة ويصفي الطبع ويرد الإنسان إلى حال طهارته ونقائه، ويسبغ من الهداية ما تنجاب بها الغشاوات، وتنزاح الظلمات، ويمتاز الحق من الباطل، ويبدو كل شيء بمعناه الصحيح، فيتصل الكون كله بوحدة نورانية، وفي هذا بيان لأهمية قضية الإيمان التي بينها وأظهرها وأكدها الخطاب القرآني في هذا التمثيل؛ ليخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الهداية، فجاء الإيمان المقرون بالنور واضحاً لا لبس فيه، ظاهراً ببراهين جلية وحجج راسخة بالغة، فكان الاختيار لهذه المفردات من الدقة والأهمية بمكان، فالمتابعة والتداخل بين هذه الطبقات النورانية مؤذن بغاية التوهج، وفرط النور، وكأنه طبقات، تدخل كل واحدة في التي تليها، ثم هو نبع لا يغيض.

وحين جاء نظم هذه الاختيارات في قوله " كمشكاة فيها مصباح" يراد ويقصد كمصباح في مشكاة، وإنما قدَّم المشكاة في الذكر؛ لأن المشبه به هو مجموع الهيئة، فاللفظ الدال على المشبه به هو مجموع المركب المبدئ به بقوله (كمشكاة)، والمنتهي بقوله " ولو لم تمسسه نار)، فلذلك كان دخول كاف الشبه على كلمة (مشكاة) دون لفظ (مصباح) لا يقتضي أصالة لفظ مشكاة في الهيئة المشبه بها دون لفظ (مصباح)، بل موجب هذا الترتيب هو مراعاة الترتيب الذهني في تصور هذه الهيئة المتخيلة حين يلمح الناظر إلى انبثاق النور ثم ينظر إلى مصدره، فيرى مشكاة ثم يبدو له مصباح في زجاجة، وإعادة لفظ (المصباح) دون أن يقال: فيها مصباح في زجاجة، كما قال (كمشكاة فيها مصباح)، إظهار في مقام الإضمار؛ للتنويه بذكر المصباح لأنه أعظم أركان هذا التمثيل، وكذلك إعادة لفظ (الزجاجة) في قوله: (الزجاجة كأنها كوكب دري)؛ لأنه من أعظم أركان التمثيل، ويسمى مثل هذه الإعادة تشابه الأطراف في فن البديع ([٤٠]) ، وإنما سلك طريق التشبيه في هذا التعبير عن شدة صفاء الزجاجة؛ لأنه أوجز لفظاً وأبين وصفاً وهذا تشبيه مفرد في أثناء التمثيل، ولا حظ له في التمثيل ([٤١]).

وكذلك تأتى بلاغة الاختيار في لفظة كوكب دري دون غيرها مما يشابهها؛ إذ وقع هذا الاختيار ليكون المشبه به كوكباً درياً دون النجم مثلاً، على الرغم من أن قوة النجوم وضوؤها أشد، فذاك من الدقة في اختيار التقارب بين المشبه والمشبه به بأقرب المشبهات إليه، ذاك أن النجم في ذاته ملتهب وهو ليس نوراً محضاً، بل يتوهج، ومبعث إضاءته اشتعال واحتراق وغازات، أما الكوكب في ذاته فليس بمتوهج بل مختزن للضوء المنبعث من النجوم، فهو في ذاته وجوهره لا يصدر الضوء وإنما يعكسه، فنوره خالص بارد، وهذا ينسجم مع طبيعة الزجاجة التي تعكس الضوء وتستصفيه من الضوء المتوهج والحرارة لتجعله نوراً خالصاً وتعكسه، كما أن المراد النور الخالص من الصورة سواء بمعناه المادي أو الحسي التي هي مزيج للضوء والدخان والحرارة، فجعل الله - سبحانه - زجاجة المصباح تضيء حتى لكأنها كوكب دري، وزيته يضيء قبل أن تشعل فيه الفتيلة، وهذا من تناسب الاختيار بين مفردات ذلك التمثيل المعجز لنور الله تعالى.

وعلى وفق هذه الاختيارات الدقيقة لهذا النموذج التمثيلي، فإن " هذا المدد المتدفق صالح لأن يعد بنوره الحياة الإنسانية في أطوارها الحضارية طورا بعد طور، مهما التبست وتداخلت، سوف تظل الشريعة هي المشكاة لدروب الحياة المتنوعة، والملتبسة والمتداخلة، ولاحظ أن مثل الشريعة التي هي مشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة إلى أخره ليس منصرفا انصرافا كليا إلى السياق الذي هو علاقات الرجال بالنساء، وآداب سورة النور، وإنما في لفظه عموم. يشمل شرع الله في الأمر كله، كما ذكر علي كرم الله وجهه، ومع هذا فإن اختيار سورة النور موقعا له إشارة واضحة إلى أن ما شرعته سورة النور في علاقات الرجال بالنساء هو المشكاة التي تضيئها شجرة مباركة، وأن من طلب نظاما آخر في علاقات الرجال بالنساء يكون قد دخل بهذه العلاقات دروب الظلمات كما فعلت المجتمعات الاسلامية بعد الغزوة الحضارية التي اكتسحت آدابنا وفرضت علينا تقاليدها " ([٤٢]).

فهذه الاختيارات التي أسهمت في بناء التمثيل القرآني المعجز جاءت منسجمة ومتناغمة ومتناسقة من حيث بنيتها الصوتية والصرفية والدلالية والتركيبية ، وكانت هذه المفردات غاية في السبك ومنتهى في الحبك، ومعجزة في النظم والترتيب والتأليف الذي جاءت عليه، الأمر الذي جعل هذا التمثيل يتجلى في هذه البلاغة العالية وهذا البيان السامي وهذه الصورة المتدفقة بهاء وجمالاً وجلالاً وحجة وتأثيراً وإقناعاً وإمتاعاً وتوجيهاً وإرشاداً، وفيه من علامات الهدى والنور والهداية والرشاد ما يكفل للاقتناع والاستجابة لدى كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فنور يهدي وشريعة تحمي من الضلالة والزيغ، ومثل يضرب للعالمين.

المطلب الثاني: الحجج التمثيلية وقيمها الاستدلالية:

يزخر التمثيل في هذه الآية الكريمة بجملة من الحجج الجامعة بين العقلي والحسي، والمؤسِسَة لبنية الواقع المقامي التداولي، والمؤسَّسَة على بنية الخطاب والمقام وأحوال المخاطبين جميعاً على حد سواء، وكان الاستدلال في بنائه بطريقة القياس التمثيلي العجيب الذي تجلى في صور بيانية ومشاهد كونية شاهدة على قدرة الله وألوهيته المطلقة التي لا ينازعه فيها ند ولا شريك، فكان الإقناع بهذه الحجج حاضراً بطريقتين، إحداهما بأساليب عقلية منطقية بهذا اللون المنطقي المسمى بقياس التمثيل، والأخرى، بأساليب بيانية، وكان البناء التمثيلي في الآية الكريمة مدعوماً بالإقناع الذي هو استمالة العقول والقلوب باللسان، على أساس أن القرآن لسان عربي مبين، لم يخاطب العقل فقط، بل خاطب الشخصية الإنسانية كلها، عقلها وقلبها وجسدها وروحها وقد تجلت في الآية الطاقة الاستدلالية والحجاجية للتشبيه التمثيلي بكل مكوناته وكفاياته الحسية

والعقلية وأدواته الظاهرة والمضمرة وخواصه البيانية والاقتضائية، وقد سبق أن بينا ما ذكره عبد القاهر حول مجيء التمثيل في أعقاب المعاني، أو برزت هي في باختصار في معرضه، ونقلت عن صوره الأصلية إلى صورته، كساها أبّهة، وكسبها منقبة، ورفع من قدرها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، ...، وإن كان التمثيل حجاجاً، كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر (٤٣).

وتكاد التمثيلات القرآنية الجامعة للمثل والعبرة والحكمة تتيح للفرد أن يحسن الاختيار بين الإيمان والكفر بعد أن تقدم الحجج في صور لا لبس فيها، ليؤمن من آمن عن بينة، ويكفر من كفر عن بينة، وهذه الخصائص المتوافرة في التمثيل القرآني للنور، تمنحه مرتبة أعلى في السلم الحجاجي والطبقات المتتالية التي تم تصوير النور من خلالها، فتجعله دليلاً أقوى على ما دونه، وبخاصة إذا اجتمع في هذا الاستدلال التمثيلي أن يكون قرآناً وحجة في الحين ذاته، وينتقل فيه الاستدلال من علاقات التشابه إلى تشابه العلاقة؛ إذ لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائماً، وإنما بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة أبداً، هذه العلاقة تقوم على مماثلة تتحقق بين عناصر أو بنيات تنتمي إلى حقول مختلفة، وهي الصورة المنتزعة من متعدد في البناء الكلي الذي تمثله النور في الآية الكريمة، فكان أن تجاوز اللغة وحدود الواقع واستدعى النظر العقلي والتأمل في الصورة المتشابكة بكل تفاصيلها الإدراكية التي تقاربت بالجانب المحسوس في الطرف الآخر من التمثيل، وأصابت المعنى والمقصود بجملة من الاستدلالات العقلية والحسية المجموعة في آن، فصورته قائمة على تشابه العلاقة، ووجه الشبه عقلي منتزع بضرب من التأول والتخييل، وقامت كذلك على عنصري التشخيص والإبداع الذي يستتبع إثارة انفعال الدهشة والاستغراب في نفس المتلقي (٤٤)، وكانت مادة التمثيل في الآية الكريمة يقينية الإنتاج يقينية المقدمات.

إن القيم الاستدلالية التي يحملها التمثيل في مكونه البنائي، لهي كفيلة بأن تدفع المخاطب والمتلقي بكل نماذجه إلى التأويل واستنتاج الأحكام، وهي ما يتأسس به المنهج الاستدلالي الفطري، وهو منهج يستمد صورته ومادته من القرآن الكريم، " والمناهج الفطرية في الاستدلال أهمها نوعان: " طريق الأمثال المضروبة" وهي "الأقيسة البرهانية القرآنية"، وطريق قياس الأولى" (٤٥).

وعلى هذا فإن في التمثيل وسيلة برهنة واستدلال مثلما هو وسيلة إبداع وإمتاع؛ إذ هو نقطة انطلاق لاستدلالات لاحقة، والطاقات الاستدلالية فيه تنبع أساساً من تفاعل طرفيه الحامل والموضوع/ المشبه والمشبه به؛ إذ يزيد من قوة الحجة، ويبهر السامع ويعطف قلبه، والمعنى دونه يفقد بهاءه وحليته، " وهكذا قياس التمثيل، ترى المزيَّة أبداً في ذلك تقع في طريق إثبات المعنى دون المعنى نفسه، فإذا سمعتهم يقولون: إنَّ من شأن هذه الأجناس أن تَكْسِبَ المعانيَ نُبْلاً وفضلاً، وتوجب لها شرفاً، وأن تُفَخِّمَها في نفوس السامعين، وترفعَ أقدارها عند المخاطبين، فإنهم لا يريدون الشجاعةَ والقِرَى، وأشباه ذلك من معاني الكلم المفردة، وإنما يعنون إثبات معاني هذه الكَلِمِ لمن تَثْبُتُ له ويُخْبَرُ بها عنه" (٤٦) .

فالنور في هذا التمثيل حُجّة ودليل على الهداية والإيمان، وأجراه الله دليلاً على صحة العقيدة وسلامتها من الزيف والزيغ ، كذلك جعله الله تعالى استدلالاً للحق والتثبيت عليه، وجاءت الصورة التمثيلية بأكملها نموذجاً استدلالياً مكتنزاً بحمولات دلالية عديدة؛ إذ اقترن الاستدلال على جلال هذا النور بلفظ الجلالة (الله)؛ لأنه هو الذي يهدي المؤمنين، ويبين لهم ما يهتدون به في السموات والأرض، وتكرر لفظ الجلالة بقوة استدلال مضمرة اقتضاء لحال النور الذي يتخذ صفة الجلال

والجمال والانتشار في السموات والأرض، وذلك بالإضمار في قوله تعالى (مثل نوره)، فنوره مطلق لا حدود له، وفي هذه الحجة التمثيلية تشويق وإثارة وترقب لمعرفة ما يعادل نور الله، أو كيفية إدراكه من خلال صفات عديدة، وعبر وسائل مسعفة تقارب الوصول إلى نور الله، وكانت مع ذلك على سبيل الحجة المجازية، وأولها المشكاة التي تركبت من عدة عناصر تمثل قيمة استدلالية متضاعفة لمقاربة النور الإلهي، وفي الحين ذاته تشكل في البناء نموذجاً للمشبه به بالنسبة لنور الله، وهي مشبه في الآن نفسه بالنسبة للكوكب الدُّرّي، فكان الاستدلال تمثيلاً لهيئة إرشاد المؤمنين بهيئة المصباح الذي تحقق فيه قوة الإشراق بتضافر مجموعة من العناصر المحسوسة لمقاربة نور الهداية ذلك المدرك العقلي، هذه العناصر تشابكت في خيط من النظم والترتيب العجيب، الذي يظهر القدرة الفائقة والحجة البالغة في المقاربة لذلك النور فكانت (المشكاة والمصباح والزجاجة) وكلها محسوسة للوصول إلى مقاربة هذا النور الإلهي، الذي لا يدرك إلا بكمال الإيمان ونور البصيرة.

وفي هذا الاستدلال التمثيلي تتجلى ثلاث صور تشبيهية متراتبة ومتداخلة، تعد حججاً تمثيلية محسوسة وظاهرة، تزيد من طاقة الاستدلال وتكثف من قيمه وفاعليته؛ إذ تنتظم وفق بعضها البعض، وتوضح إحداها الأخرى التي تليها، فكانت الأولى تشابه العلاقة بين نور الله والمشكاة التي تشكلت معها عدة عناصر قامت بها معاً، وليست مشكاة فقط، بل معها المصباح الذي من أبرز صفاته قدرته على الانعكاس، وجاء هذا المصباح بصيغة النكرة أولاً لاقترانه بالمشكاة تخصيصاً وعموماً، لكن جاء بصيغة المعرفة عند التفصيل به، فقد عرّف بـ (أل التعريف العهدية) لدلالة التقييد، وليس مطلقاً، فقيده يكون في زجاجة بصيغة النكرة للعموم ثم التخصيص لهذه (الزجاجة) بصيغة المعرفة؛ كونها هي ذاتها وليست غيرها، هذه الصورة التشبيهية التمثيلية قاربت نور الله بالنور المستخرج من صورة المشبه به المضاعف المتولد من تضافر المشكاة والمصباح والزجاجة، هذه الصورة المركبة أسهمت بحججها واستدلالاتها في إيجاد أقصى ما يمكن من الإنارة ، وموجب هذا الترتيب . وفق ما ذكر ابن عاشور . هو مراعاة الترتيب الذهني في تصور هذه الهيئة المتخيلة حين يلمح الناظر انبثاق النور، ثم ينظر إلى مصدره فيرى مشكاة ثم يبدو له مصباح في زجاجة ([٤٧]).

فيظهر النور خلالها مشعاً شديد اللمعان، وهو نور صادر عن المصباح، ويتسم ببياض ناصع اللون إضافة إلى أنه ذو توهج شديد، فهذه الصورة التي تعد مشبهاً به (لنور الله) هي في الآن ذاته تمثل صورة المشبه لطبقة أخرى من النور هي ممثلة في المشبه به وهو الكوكب الدري، فهذا الكوكب يأتي مشبهاً به في هذه الصورة الثانية، وهذا نوع من الإعجاز البلاغي الذي يتسع لأكثر من لون بياني في سياق واحد: (كناية عن شدة الإنارة والإضاءة في صفاتها)([٤٨])، والتشبيه في هذه الصورة البيانية يتجلى في نظام استدلالي عجيب، والمشبه تجلى في حصيلة تفاعل النور المنعكس في المصباح، والأداة (كأن)، والمشبه به الكوكب الدري، ووجه الشبه صورة الإنارة بأقصى حالاتها بياضاً، وأقصاها لمعاناً، والمعجز والفريد مع هذه الألوان البيانية المتداخلة، تأتي الاستعارة التصريحية لتحمل كذلك طاقة استدلالية وحجة بلاغية في هذا التمثيل من خلال وقعها في قوله (كوكب دري)، فهي استعارة داخل تشبيه، أي أنها وقعت داخل تشبيهين، فـ (الدري) استعارة للكواكب المضيئة المنيرة، "والعرب تسمي الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها الدراري" ([٤٩])، " وإنما سلك طريق التشبيه في التعبير عن شدة صفاء الزجاجة؛ لأنه

أوجز لفظاً وأبين وصفاً، وهذا تشبيه مفرد في بناء التمثيل" (٥٠) وتلك هي الصورة الثالثة من التشبيهات المتداخلة في نسق ذلك التمثيل، إلى جانب لون الكناية والاستعارة في نسقه كذلك.

فقد عمد التمثيل في هذا الخطاب النوراني إلى تثبيت العقيدة الإيمانية بحجج تمثيلية واستدلالات إفرادية وتركيبية بليغة، وذلك في تصوير ما لا يدرك بالحواس، ولا يقوم بالخواطر، ولا يتجلى سر حقيقته، فيصوره بما يلمس ويحس ويشاهد، من قبيل تصوير الأعلى بالأدنى على سبيل المجاز، والأفق المترامي الأبعاد بالجزء الصغير، والحقيقة التي لا تتناهى بحقيقة تقريبية، فالفيض الإلهي العامر، والبهاء العلوي المتلألئ، لا تدركه مشاعر، ولا ينعكس على جوارح، ولكنه يمتزج بالقلوب، ويعانق الأفئدة، فالعيون قاصرة عن استيعابه، والبصائر حائرة في تشخيصه، وأنّى لها ذلك والله نور السموات والأرض، يخترق الحجب، ويجتاز الحواجز، لتلتقي الأرض بالسماء، والكائنات الحية بالجماد، والمخلوقات المرئية، والعوالم المجهولة بالعوالم الآهلة، فتشرق جملة واحدة بنور ربها الذي نشر فيها الحق وبثّه فأضاءت بنوره، ونور قلوب أهلها به، فمثل هذا النور الإلهي في علوّه وشموله وانطلاقه، أنّى يحدد للبشر، وأنّى يشخص بالإدراك، وإذا بالباري المصور يقدم الدليل ويسوق الاستدلال على هذا الاتساع النوراني وهذا الشمول القدسي، استدلالاً حسياً ملموساً مشاهداً بالكلمة والتركيب والصورة في هذا التمثيل الخلاق، فيضرب له مثلاً تقريبياً بالمشكاة، وهي الكوة في الجدار، تكون محلاً للمصباح، تجمع نوره وتحصر ضوءه، والمصباح في زجاجة زهراء صافية، والزجاج جسم شفاف متألق، فيتضاعف النور، وهذه الزجاجة في ذاتها استدلال تمثيلي أو قياس تمثيلي بمثابة الحجة البرهانية على النور الساطع والإشراق المطلق، في تشبهها بالكوكب العظيم الدري المضيء، يشبه الدرر في صفائه وسنائه، وفي ذلك يبدو الانتقال من الأمر البسيط في صغره، إلى النموذج الراقي في كبره، في محاولة للاستدلال على الأصل الخطير، وهو نوره تعالى حين يوقد من شجرة مباركة زيتونة، والزيتون في زيته أرقى نموذج للاستصباح في حينه، وزيتها لا كما تعارف عليه الناس، فهو جنس آخر في فرط استصباحه، فيكاد يضيء من شفافيته بغير احتراق ولا اشتعال، نور على نور، وذلك لتوالي الأنوار العاكسة، والأجهزة المضيئة: المشكاة، المصباح، الزجاجة، الكوكب الدري، شجرة الزيتون، تداخل المشرق والمغرب، وهذه الكثافة الاستدلالية المتعالية من الأنوار المتشابكة والمتداخلة تصور هيئة هذا النور الذي يتعسر حصره، ولا يسبر غوره، ولكنه تقريب بما يدرك من هذه الحجج والاستدلالات المحسوسة، وتصوير بما يلمس، فأبرز هذه المعاني العرفانية المجهولة بقوالب حسية، تميزها الأبصار بشيء من التشخيص، وكثير من التعيين في صورة حية موحية، والصورة الذهنية التي سيقت لها الحجج والاستدلالات الحسية كانت لإدراك طبيعة هذا النور وحيثيته، كلاً أو جزءاً (٥١) ويساق كل ذلك الجلال والجمال في نظام تمثيلي معجز، ويثمن هذا الكيان في العقيدة الإيمانية والهداية الربانية، بإحساس المدرك، وتمييز المقارن.

فهو يلقي ظلاً ظليلاً على حياة المؤمنين؛ إذ كانت الشفافية في النور والغشاوة في الظلمات، تشخيصاً لظاهرتي الإيمان والكفر، فكان هذا الاستدلال وذلك التشخيص المرتكز على انتزاع الصور المتعددة القائمة في الممثل به من مجموع أوضاعه، تشخيصاً للقضايا العقلية بقوالب تغلب عليها عناصر الحس والمشاهدة؛ لتلتقي الصورة بالمضمون والمقصود، وتقترن المعاني بالألفاظ، ويصبح معها التمثيل باستدلالاته وحججه في الآية الكريمة أداة للتعبير الواضح، ومناخاً يجمع إلى عمق المعنى

وضوح التصوير، وإلى سلامة القصد جلاء الفكرة، فهو متماسك ومترابط ومحكم في جزئية الممثل به والممثل له، يضفي عليها نور المعرفة والإدراك، فالغائب يشخص بالماثل، والخفي يجسد بالجلي، والمعنوي يمثل بالمادي، والعقلي يسبر بالحسي، والبعيد يدنى بالقريب، والإبهام يزال بالإيضاح، وكلها استدلالات ظاهرة ومضمرة، وحجج ضمنية واقتضائية وبرهانية ظاهرة، تنساق معها الأبعاد التداولية التي تقتضي التفاعل والتواصل والاستعمال والاستكمال، وتتوسل بمعايير التسليم والتمييز والتفضيل؛ لترسيخ سبل العقيدة الإيمانية الصحيحة التي يبعثها نور الهداية المركوزة في الطبع الإيماني بقواعد الائتمار والاعتبار، ومأصولة بذلك البيان الإيماني الموصول بقواعد الإعجاز والإنجاز والإيجاز الذي ساقته استدلالات ذلك التمثيل البلاغي المعجز وحججه البالغة بقواعد الاتساع والانتفاع والاتباع، فكانت قيم الاستدلال حاضرة في تجسيدها وتشخيصها وبيانها وإيجازها وقوة إقناعها وتأثيرها الخلاب.

ولذلك كانت الدلالة على معاني التمثيل في الآية الكريمة، منبثقة من كثافة هذه الحجج والاستدلالات التي تنوعت بين لفظية وتركيبية وصوتية واقتضائية وتصويرية شخصت وجسدت المعاني العقلية في نظام حسي ملموس يدرك بالحواس، وهذا ما نبَّه إليه ابن وهب الكاتب في نماذج الدلالة على المعاني وفق الاستدلالات التي تتأتي من بيان الأشياء بذواتها وإن لم تبن بلغاتها، وبما حصل بالقلب عند إعمال الفكر واللب، وباللسان/ المنطوق، وبالكتاب/المكتوب، وهو الذي يبلغ من بعُد وغاب، فكان الأول عن بيان الاعتبار؛ إذ الأشياء تبين بذواتها لمن تبين وتعبر بمعانيها لمن اعتبر، وفيه الظاهر الذي تدركه الحواس وتتساوى في إدراكه العقول، وفيه الباطن الغائب عن الحس، وتختلف في إدراكه العقول، وكان الثاني عن الاعتقاد الذي يرشد إلى الحق والقول به، وألا نعتقد الباطل ولا ندين به، وفيه يكون أمر تبين رشده ولزم اتباعه، وأمر تبين غيه ووجب اجتنابه، وأمر اشتبه فلزم رده إلى عالمه، وكان الثالث في العبارة المنبثقة من اللسان/اللغة، وهذا فيه باطن وظاهر، والظاهر لا يحتاج إلى تفسيره، أما الباطن فيتوصل إليه بالقياس والنظر والاستدلال والخبر، والرابع في الكتاب الذي ينقله الخلق عن السابقين عليهم فتقوم به الحجة عليهم، ويكون الباطن منه بحاجة إلى الظاهر؛ لأنه دليل عليه.([٥٢]).

وفي هذه الألوان التي ساقها ابن وهب في الإبانة عن المعاني والدلالات بأشكال أربعة، قد تضافرت على ذلك النموذج التمثيلي في بيانه الظاهر والخفي والواضح والمضمر والمقتضي والمذكور؛ إذ يعمل التمثيل على إسناد بنية ذهنية لدى المتلقي تتعلق بالتأثير الصوري عن طريق الملفوظ، وهذا الملفوظ يحث على الاعتقاد بالفكرة المطروحة في سياق التمثيل.

والذي لا اختلاف حوله أن آليات التمثيل من أوسع الطرق الاستدلالية استعمالاً، وهي في نظامها " عبارة عن الاستدلالات التي يقع التوسل فيها بعلاقة المشابهة في استخلاص النتيجة، وقد أطلقت على الاستدلال التمثيلي أسماء تختلف باختلاف الدوائر المعرفية التي يمارس فيها هذا النوع من الاستدلال، فقد سماه الأصوليون باسم قياس الفرع على الأصل، وسماه المتكلمون قياس الغائب على الشاهد، ودعاه الفلاسفة باسم قياس التمثيل، كما اختلفت فيما بينهم صوره وضوابطه" ([٥٣]).

وقيمة التمثيل باستدلالاته في الآية قد تضمن مثلاً ضربه الله ﷻ ليكون حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها ويراد نهاية أحدهما بالنظر إلى نهاية مماثلة في نظم تمثيلي يقارب ذلك من خلال تشابه العلاقة بينهما في المجمل الكلي ؛ إذ ليس للتماثلات أي قيمة عندما لا تسجل علاقات نظام الواقع الذي ينطبق عليه التمثيل ([٥٤])؛ إذ في قوله تعالى (الله نور السموات

والأرض) استدلال مباشر على علاقة الله بالكون الفسيح سماء وأرضاً، وحجة على الإيجاد والخلق ، والكون فيه/ السموات والأرض حجة وموضوعاً للاعتبار، وهو سبيل إبانة الاعتبار كما بينها ابن وهب فيما ذكر سابقاً، هذا الاعتبار المتصل بالتأمل الذي يقتضي قياس الغائب على الشاهد، تتصل به كلمة (مشكاة) وهي كون محدود محصور، لكن تراكبت فيه مجموعة من العناصر الاستدلالية المساعدة لوجوه المقاربة، تمثلت في مفردات : (مصباح، المصباح ، زجاجة، الزجاجة)، ثم تماثلت هذه الكتلة التركيبية التمثيلية في نسق تمثيلي فرعي آخر، وذلك في كونها (كأنها كوكب دري)، يتصل به إبقاد متصل بزيت من شجرة مباركة زيتونة، وكلاهما يحمل في طرفيه جانباً معنوياً تأملياً وآخر منظوراً محسوساً مشاهداً، تحقق به استدلال الغائب على الشاهد في صورة ذلك النموذج التمثيلي الكلي، وتكمن وظيفة الاستدلال في ذلك المقدرة الداعية إلى التأمل في جمع العقلي الإدراكي بالحسي المشاهد، وقراءة زوايا النظر والاعتبار في كليهما، وهو ما يرومه نور الهداية وتعاليم الشرع والخروج بها من سبل الكفر والظلام.

إن الحجج القائمة في ذلك النموذج التمثيلي لهي بمثابة البراهين المبينة والدالة على الهداية والاستقامة التي تكون نتائج يقينية أرساها النور الذي تعددت تأويلاته في الآية الكريمة، وإن كان المختار التأويلي له يجتمع على أنه نور الشريعة المستمدة من نور القرآن الكريم الذي أنزله الله نوراً للناس وهدى للعالمين، فيه آيات بينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فكان التمثيل في ذاته حجة برهانية على هذا النور، وكانت الكلمات القرآنية في بنياتها وكفاياتها ودلالاتها الخاصة والسياقية حججاً راسخة كذلك، تؤسس لقيم الاستدلال القرآني في هذا النموذج التمثيلي بما فيها من قدرات دلالية كامنة، وطاقات حجاجية مؤثرة وموجهة، تدعم البناء التمثيلي الكامل في الآية المباركة؛ ليشكل بنية واقعية، أو بمعنى أدق بنية الواقع من خلال إيجاد أو إثبات أشياء انطلاقاً من أشياء أخرى عن طريق تشابه في العلاقات بينها، ولذلك فإن تسلسل الأقوال في الاستدلال التمثيلي ليس مؤسساً على الأقوال ذاتها فحسب، وإنما مؤسس كذلك على القضايا المتضمنة فيها الظاهر والمضمر منها، وعلى ما تقوله أو تفترضه بشأن ما يتضمن فيها ، وكان أهم ما تضمنته أقوال ذلك التمثيل القضايا الكبرى من الإيمان والهداية والكفر والضلال والنور الذي يكون به ذلك الاعتقاد من عدمه.

المبحث الثاني : الأبعاد التداولية في تمثيلات النور

المطلب الأول: الفعل الكلامي في تمثيل النور:

تنبثق الأبعاد التداولية بأفعالها الكلامية في ذلك المثل المضروب من العلاقات التفاعلية والسياقية فيه، وتحققه لقيم التواصل الجامعة بين مراد المتكلم وهو هنا الله ﷻ ومقاصد الخطاب التمثيلي ودلالاته المقامية والمقالية الناجمة من الاستعمال اللغوي المراعي لمقتضيات الأحوال ومنتظم في إحكام تفاعلي وتواصلي راسخ، ثم المخاطب أو المستمع أو المؤول الذي يتلقى الخطاب ويستجب لمكناته وكفاياته ويتفاعل مع عطاءاته الدلالية والتأثيرية والتوجيهية، وفق موسوعيته وخبرته الجمالية وقدراته التأويلية.

وبالنظر إلى السياق التداولي وأهميته في توجيه فهم مقاصد المتكلم ومراده، ودرجة مطابقة معاني الألفاظ لقصد المتكلم وفهم السامع، قسّم ابن القيم الجوزية مفردات السياق إلى ثلاثة أقسام: أحدها: أن تظهر مطابقة القصد للفظ، وللظهور

مراتب تنتهي إلى اليقين والقطع بمراد المتكلم، بحسب الكلام نفسه وما يقترن به من القرائن الحالية واللفظية، ثانيها: ما يظهر بأن المتكلم لم يرد معناه، وقد ينتهي هذا الظهور إلى حد اليقين بحيث لا يشك السامع فيه، وهذا القسم نوعان، أحدهما أن لا يكون مريداً لمقتضاه، ولا لغيره، والآخر أن يكون مريداً لمعنى يخالفه، ثالثهما: ما هو ظاهر في معناه ويحتمل إرادة المتكلم له، ويحتمل إرادته غيره، ولا دلالة على واحد من الأمرين، واللفظ دال على المعنى الموضوع له، وقد أتى به اختياراً ([٥٥]).

تنطلق نظرية أفعال الكلام من فرضية أساسية مفادها أن بعض الأقوال على الأقل لها القدرة على إعادة تشكيل الواقع الخارجي وإحداثه، لا مجرد وصفه وتمثيله؛ ومن ثم ينظر إلى اللغة في هذا السياق بوصفها علماً أو فعلاً، وعليه يصبح الفعل الكلامي هو وحدة التحليل الأساسية في دراسة الاستعمال اللساني، لا الجملة ولا أي تعبير آخر؛ فالمتكلم يؤدي أنواعاً معينة من الأفعال، مثل: الإخبار، والاستخبار، والطلب، والوصف، والتفسير، والاعتذار، والشكر، والتهنئة، ...الخ، على نحو مميز، وذلك بالتلفظ بجملة أو جمل.

وقد أرسى أسس هذه النظرية الفيلسوف الإنجليزي جون لانجشو أوستين John Langshaw Austin الذي أعاد بناء المناخ الفكري المسهم في تجديد فلسفة اللغة في كتابه How to do thing with Words وهو عبارة عن اثنتي عشرة محاضرة ألقاها عام ١٩٥٥م، بجامعة هارفرد، ثم تابعه من بعده تلميذه سيرل، ويغلب على مقاربتهما الطابع الفلسفي المنطقي ([٥٦]).

ويفسّر الرباط الضيق الكائن بين معنى الجملة وشروط حقيقتها بأننا نُعرّف علم الدلالة تارة بذلك الجزء من اللسانيات الذي يتم بالمعنى ([٥٧]) وتارة أخرى بأنه انتظام يدرس العلاقة بين الكلمات والأشياء، وبين اللغة والعالم، في حين تدرس التداولية في مقابل علم الدلالة الذي يهتم بمعنى الجمل المحددة مقارنة بمحتواها التمثيلي، استعمال الجمل أو توظيف الجمل من قبل ذوات متحدثة

أصناف أفعال الكلام:

خلص أوستين إلى ضرورة التفكير في مراجعة أفعال الكلام، واقترح أن تتم المراجعة ضمن نظرية شاملة لأفعال الكلام يجري التفريق فيها بين ثلاثة أفعال كلامية هي: فعل القول، وفعل الإنجاز، وفعل التأثير، ويمكن بيان دلالة كل فعل منها على الوجه التالي:

- فعل القول: يراد به التلفظ بقول ما استناداً إلى جملة من القواعد الصوتية والتركيبية التي تضبط استعمال اللغة.
- فعل الإنجاز: ويراد به القصد الذي يرمي إليه المتكلم من فعل القول، كالوعد والأمر والاستفهام والتحذير، وقد اقترح أوستين نمذجة Typology لهذه الأفعال، مميزاً بين خمس طبقات:

١. طبقة الأفعال الحُكمية، وتشمل أفعالاً تعكس قدرة المتكلم على إصدار الأحكام . حسب موقعه الاجتماعي ووضعه الاعتباري، كأن يكون قاضياً أو حاكماً أو مسؤولاً تنفيذياً . ومن ذلك: اعترض . أعلن . صرح . أدان . برّأ وافق . اتهم ...

٢. طبقة الأفعال التنفيذية: وتشمل أفعالاً تفصح عن قدرة المتكلم على اتخاذ القرارات وإصدار الأوامر، والتأثير على الآخرين، مثل: وافق . حذر . نصح . زوَّج . سمَّى . سمح ... الخ.

٣. طبقة الأفعال التعهدية: وتشمل أفعالاً يتعهد فيها المتكلم بفعل ما، مثل: التزم . تعهد . وعد . وافق . عزم . نوى .

٤. طبقة الأفعال السلوكية: وتشمل أفعالاً دالة على سلوك اجتماعي وتصرفات، مثل: هنَّأ . لام . انتقد . تعاطف . رحَّب . شكر . اعتذر . وغيرها ... الخ.

٥. طبقة الأفعال العرضية: وتشمل أفعالاً يعرض فيها المتكلم وجهة نظر ويقدم حُجَّة، مثل: استشهد . مثَّل . نصَّ . افترض . شهد . دحض . أثبت وغيرها مما شابه ذلك ... الخ.

- فعل التأثير: ويراد به التأثير الذي يحدثه فعل الإنجاز في المخاطَب، فيدفعه إلى التصرف بهذه الطريقة ([٥٨]).

وعند النظر إلى الأفعال الكلامية في سياق تمثيل النور، نجده يتحدد في سياق الآية بما جاء فيها من: [يوقد، يكاد، يضيء، يهدي، يشاء، يضرب]، ثم تأتي الأفعال الكلامية المترابطة والمتصلة بهذا السياق في الوحدات اللاحقة والسابقة عليه من مثل [أنزلنا ، تُرفع، يذكر، يسبح، تلهيهم، يخافون، تتقلب، يجزي، عملوا، يزيدهم، يرزق، يحسبه، جاءه، يجده، وجد، فوفَّاه، يغشاه، أخرج، يكد، يراها، يجعل]، ويلحظ من هذه الأفعال التي تؤول إلى إنجاز وتقبل لدى المتلقي، أنها أتت على صيغة المضارعة التي تدل على الاستمرارية والتجدد والامتداد وعدم الانقطاع، وهي في الحين ذاته تمثل نموذجاً تفاعلياً وتواصلياً مع المخاطبين، يقوم على قواعد التداول اللسانية والعقدية والمعرفية، وتنبئ عن حتمية التحقق التي تشير إليها أنظمتها الدلالية والصوتية والصرفية والتركيبية، فالفعل (يوقد) متعلق بالكوكب الدري الذي يمثل مشبهاً به في الصورة التمثيلية الثانية المركبة، ففعل القول يوقد متزامن في آن مع فعلي التأثير والإنجاز، ليمثلوا بثلاثتهم قيمة الفعل الكلامي وأثره في استمرارية نور هذا الكوكب، ومما يؤكد ذلك اقترانه بلفظ الشجرة التي تمثل رمزاً للحياة والعطاء بمفهومها العام، وجاءت نكرة لكثرة نفعها، وقد أتبعت بالوصف الدال عليها، فهي مباركة دلالة على قدسيتها، وذات نقاء وصفاء غير محدود، فإيقاده على الدوام في قوة سطوع وغاية إنارة، ليقارب بهذا التكوين الفعلي نور الله في أحكامه وشريعته المنيرة وهدايته الوضاءة، وإرشاده القيم وتوجيهه المستقيم إلى سبل الاستقامة والرشاد والفوز والفلاح.

في حين يشكل الفعل (يكاد) نموذجاً آخر من نماذج الأفعال الكلامية الجامعة بين القول والتأثير والإنجاز، في صورة حقيقية واقعية للناظر والمتأمل في معنى التمثيل ومقاصده المترتبة على هذا النور؛ إذ إن نور زيت الزيتون يمثل أصفى نور عرفه المخاطبون، وفيه من الشفافية والإشراق بذاته، حتى كأنه يضئ دون احتراق، لكن الإضاءة هنا ليست حقيقية، إذ ليس فيها توهج أو مصدر لها، وإنما نورها حسب الرؤية البصرية، وقد د على أرجحية حدوث هذا النور دون الجزم به قوله (يكاد –ولو لم تمسسه نار) إذ إنه أوشك أن يكون نواراً، فالفعل (يكاد) يستعمل للمقاربة فلم تكد تضيء لو لم تجد ما يساعدها على الإيقاد، فالإضاءة هنا غير حاصلة، إنما أخذت عنها صفات لونية فقط تؤكد صفاء الزيت ونقاءه، وكذلك بيان لشدة صفائه وسرعته على الاشتعال.

وجاء الفعل (يهدي) ليؤكد النتيجة التأثيرية للفعل القولي المتعلق بالنور الذي يحمل في أنساقه الدلالية الهداية المستمرة باستمرار وجود النور، فصيغة المضارعة التي جاء عليها الفعل الكلامي هنا أكسبت الدلالة التمثيلية للنور بعداً ممتداً وتواصلياً ونتيجة حتمية لوجوده ، فالهداية بكل حقولها الدلالية في دوام واستمرار وتجدد مع وجود هذا النور، فالفعل

القولي والتأثيري والإنجازي للفعل (يهدي) يمثل نموذجاً عميقاً للنظام التمثيلي للنور في الآية الكريمة؛ إذ تظل الشريعة الإلهية وأحكامها وتعاليمها نوراً يحيا به الناس في دروب الحياة.

ثم يمثل الفعل (يشاء) نموذجاً اختيارياً ودلالياً؛ ليؤكد أن الهداية للناس اختيار إلهي لما علم في قلوبهم، فالقلوب التي علم الله في غيبه أنها تستجيب لأحكامه وأوامره ونواهيه وإرشاداته وتبييناته كتب لها مشيئة الهداية واختارها لها لما علم ميلها إليها والتزامها بها، في حين أن القلوب الجاحدة والمنكرة والمعرضة ما استجابت لهذا النور فهي في ظلمات متراكبة، يتخبط أصحابها في التيه والظلام والضلال، ولم تكتب لهم مشيئة الهداية لما علم الله ﷻ في علمه الأزلي إنكارهم ونفورهم وجحودهم، لدرجة أنهم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره، فأولئك لم يجعل الله لهم نوراً من نوره فما لهم من نور، فكان الضلال طريقهم والكفر عقيدتهم والظلمات حياتهم، وفي ذلك تتجلى قواعد الأصل العقدي للمجال التداولي الإسلامي التي تتمثل في: الاختيار والائتمار والاعتبار، وفي شمولية هذه الأفعال الواردة في سياق هذا النموذج التمثيلي، تظهر تداولية الأصل اللغوي الذي أحدث النموذج التفاعلي والتواصلي بين المتكلم وهو الله ﷻ والمخاطبين وهم الناس أجمعين مؤمنهم وكافرهم هاديهم وضالهم، فكانت قواعده حاضرة وبقوة في نماذج الإعجاز والإنجاز والإيجاز التي حققتها جملة الأفعال الكلامية التي وردت في هذا التمثيل المعجز.

أما جملة الأفعال الكلامية التي وردت في السياق المتعلق بقوة المناسبة اللاحقة والسابقة مع سياق الآية الكريمة وهي: [أنزلنا، تُرفع، يذكر، يسبح، تلهيهم، يخافون، تتقلب، يجزي، عملوا، يزيدهم، يرزق، يحسبه، جاءه، يجده، وجد، فوفَّاه، يغشاه، أخرج، يكد، يراها، يجعل]، فقد حققت الوظائف التفاعلية والتواصلية بمختلف أصول الجانب التداولي اللغوي والعقدي والمعرفي، وتدور في مراكز التأثير والإنجاز والاستمرارية والتجدد المتعلقة بدوام النور واستمرارية وجوده، وكلها تحمل دلالات التوجيه والعاقبة التي تكون لدى طرفي الكفر والإيمان في محوري الظلام والنور، وما يستتبع مسارهما من طرق الضلال والهداية، فكل طرف جاءت أفعاله محققة ومنجزة لمساره ومداره العقدي، في نظام تمثيلي لوقائع النور والهداية وما يقابله من الظلام والضلال، وحققت قدراً إعجازياً بليغاً في التناسب والانسجام الدلالي والمعجمي وما ارتبط بهما من ترابط وإحكام.

ووفق هذا الحضور القولي والتأثيري والإنجازي لأفعال الكلام في ذلك النموذج التمثيلي المتحقق في الآية الكريمة، فقد أكسبه مجالاً تداولياً رحباً بعيد المدى عميق الأثر، راعى الأصول اللغوية والعقدية والمعرفية، وناسب بين الضوابط التي تستوجبها أصول ذلك التداول من الإعجاز والإنجاز والإيجاز، ومن الاختيار والائتمار والاعتبار، ومن الاتساع والانتفاع والاتباع، ووافق مقتضى الأحوال والأقوال التي عليها الخطاب والمخاطبين، وأظهر المستوى الكلامي الذي كشف عن طبقات الفعل، وحقق مبدأ التفاعل، ومبدأ الحصافة، ومبدأ التأثير، في جانبه التداولي، وجانبه الدلالي، وجانبه التوجيهي الإقناعي، وكان لأفعال الكلام في التمثيل قدرة فائقة وبالغة في تصوير المشاهد، وتقريب الأحداث التصويرية بكل أدواتها وكفاياتها البيانية والأسلوبية التي أظهرت قيم التمثيل، وطاقاته العميقة وأدواره الكثيفة في ترجيح الدلالات ومقاربة المراد.

المطلب الثاني: أنماط الأبعاد ووظائفها في تمثيل النور:

١. البعد النظمي والسياقي:

من الأبعاد التي ارتبط فيها المجال التداولي (اللساني) بالمعطى البلاغي (البياني)، النظم والسياق بكل ما فيهما من تقارب وترابط وتداخل؛ إذ كان النظم محوراً تدور حوله البلاغة العربية في مختلف فروعها وتوجهاتها، وهو في الوقت ذاته ينظر إلى

اللفظ داخل السياق؛ بمعنى أنه لا سياق بمعزل عن نظمه، ولا نظم بمعزل عن السياق، وكلاهما يراعي المقتضيات والأحوال التي يأتي عليها الكلام في الاستعمال، فيكون الترابط وثيقاً وشديداً بين النظام التداولي بمعطياته تواصلاً وتفاعلاً، والبلاغي بمتعلقاته نظماً وسياقاً،

وقد اختلفت طرق الخطاب القرآني تبعا لاختلاف المعاني التي يحاول إيصالها للمتلقي؛ إذ حث المتلقي على الوثوق والإقناع وتلبية الأوامر والنواهي التي ترد في الخطابات في استعمال الأدوات التداولية وتوظيفها في ذلك السبيل، فعند النظر في قوله : (الله نور السموات والأرض)، نجد أن المعنى انبثق من الإخبار بأنه سبحانه (نور) بجملة اسمية تامة قائمة على المبتدأ والخبر، أسهم هذا الاستهلال بتقديم معاني منها أنه هادي من في السموات والأرض فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون"([٥٩])، وقيل في بيان معنى الاستهلال لهذا النظم التمثيلي:" إن الله موجد كل ما يعبر عنه بالنور وخاصة أسباب المعرفة الحق والحجة القائمة والمرشد إلى الأعمال الصالحة التي بها حسن العاقبة في العالمين العلوي والسفلي" ([٦٠]).

وعلى هذا فالنور ليس مخلوقاً، فهو ليس كنور القمر الذي جعله الله تعالى فيه، وليس كنور المصباح، وليس كالنور الذي في قلب المؤمن من العلم والهداية والإيمان، ولكن النور حقيقي لله فهو نور، وصفاته نور، وآياته نور، وسماها تعالى نوراً؛ لأنه سبحانه وصف نفسه بهذا الشيء، ولكن ليس كالنور الذي نتصوره أو نتخيله ([٦١]).

فالبعد التداولي المتمثل في نظم النور وسياقه المقالي والمقامي، تتكشف ملامحه من أنه أضاف الى النور (السماوات والأرض) ولهذه الإضافة أحد معنيين: إما أنها دالة على سعة إشراقه وفشوّ إضاءته، حتى تضيء له السماوات والأرض، وإما أن يكون المراد أهل السماوات والأرض وأنهم يستضيئون به ([٦٢])، وتَخْصِيصُ السَّماواتِ والأَرْضِ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُما المَقَرُّ المَعْرُوفُ لِلْمُكَلَّفِينَ المُحْتاجِينَ لِما يَدُلُّهُما ويُهْدِيهِما لِما سَبَقَ"([٦٣]).

ثم استعمل المثل في جانب من البناء التمثيلي الكلي في الآية الكريمة؛ لتقريب الصورة العقلية بإبرازها في صورة حسية، فالمثل هنا أسهم في بيان هذا النور قال تعالى :(مثل نوره كمشكاة) في عودة الضمير) الهاء) في نوره قولان: إما أنه عائد على الله سبحانه؛ أي مثل هداه في قلب المؤمن وإما أنه عائد على قلب المؤمن فشبه قلبه بالقنديل والزجاج الشفاف ([٦٤])، والمثل تشبيه حال بحال "والمشكاة كوة في البيت وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى الله طاعته نورا " ([٦٥])، وذلك في نظم فريد جامع بين فرادة الاختيار، وإحكام التأليف والترتيب ونشاط السياق، الذي تداعت فيه سبل التناسب المقامي والمقالي ومراعاة أحوال المخاطبين والسامعين.

وهذا يدل على أنها غير مضيئة وأنها تستمد الضوء من الصباح " فالكَلامُ تَمْثِيلٌ لِهَيْئَةِ إرْشادِ اللَّهِ المُؤْمِنِينَ بِهَيْئَةِ المِصْباحِ الَّذِي حَفَّتْ بِهِ وسائِلُ قُوَّةِ الإشْراقِ فَهو نُورُ اللَّهِ لا مَحالَةَ .وإنَّما أُوثِرَ تَشْبِيهُهُ بِالمِصْباحِ المَوْصُوفِ بِما مَعَهُ مِنَ الصِّفاتِ دُونَ أنْ يُشَبَّهَ نُورُهُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ بَعْدَ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لِقَصْدِ إكْمالِ مُشابَهَةِ الهَيْئَةِ المُشَبَّهِ بِها بِأنَّها حالَةُ ظُهُورِ نُورٍ يَبْدُو في خِلالِ ظُلْمَةٍ فَتَنْقَشِعُ بِهِ تِلْكَ الظُّلْمَةُ في مِساحَةٍ يُرادُ تَنْوِيرُها .ودُونَ أنْ يُشَبَّهَ بِهَيْئَةِ بُزُوغِ القَمَرِ في خِلالِ ظُلْمَةِ الأُفُقِ لِقَصْدِ إكْمالِ المُشابَهَةِ لِأنَّ القَمَرَ يَبْدُو ويَغِيبُ في بَعْضِ اللَّيْلَةِ بِخِلافِ المِصْباحِ المَوْصُوفِ .وبَعْدَ هَذا فَلِأنَّ المَقْصُودَ ذِكْرُ ما حَفَّ بِالمِصْباحِ مِنَ الأدَواتِ لِيَتَسَنّى كَمالُ التَّمْثِيلِ بِقَبُولِهِ تَفْرِيقَ التَّشْبِيهاتِ كَما سَيَأْتِي وذَلِكَ لا يَتَأتّى في القَمَرِ."([٦٦]).

ولفظة مشكاة بهيئتها الواردة تحمل دلالات إيحائية واجتماعية وثقافية فهي " ذات دلالات اجتماعية خاصة تداولتها عدة لغات واتفقت استعمالا بين لسانين عند جيلين من البشر لأن المشكاة عند العرب الكوة التي لا منفذ لها وقيل في لسان الحبشة الكوة، ويجوز أن تكون المشكاة من جملة ما عربته العرب من اللغات فغيرته ونطقت به فصار كلغتها، والحق أن العربية قد أعطت هذه الكلمة عرضا خاصا بها؛ لذا وجدنا الكوة لا تعطي دقائق معنى المشكاة بما فيها من بهاء وجمال تبادر ذهني عام الى المدلول منها في كل الوجوه المحتملة في اللغة الأصل "([٦٧])، وقيل في معناه إنه شبه النور الذي في قلب المؤمن بهذه القضية كلها (مشكاة فيها مصباح) والذي يقابل المشكاة هو القلب والنور الذي يقذفه الله في قلبه مع نور الإيمان هو المصباح لكن هذا المصباح مركب في زجاجة والزجاجة صافية لامعة (كأنها كوكب دري)، ووقود هذا النور من (شجرة مباركة زيتونة)، زيتها صاف وجيد، فصارت مادة النور جيدة وكذلك محله جيد، وكذاك وقايته جيدة؛ لأن الزجاجة تقي وتصفيه"(٦٨)،

ويتجلى البعد التداولي للنظم والسياق في قوله: (كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة)؛ إذ يظهر التعالق القوي بين الجملتين، الأمر الذي يدل على أن المشكاة قد ارتبطت بالمصباح برباط حتمي أدى إلى انصهار دلالتها المعتمة؛ لتكون الغلبة بذلك لدلالتها الإيحائية(٦٩)، ويظهر في التركيب تنامي معنى المثل (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري)، فقد استعملت الآية أولا عناصر مستوحاة من الطبيعة دل على ذلك مجيء (مصباح) مرة نكرة وأخرى معرفة، فالتنكير؛ لأنه معروف عند الجميع و(أل) في (المصباح لتحقيق أغراض بلاغية: منها إفادة العهدية، وذلك حين يكون المسند إليه المعرف معهود بين المتكلم والمخاطب." وفي هذا النظم وذلكم السياق " إظهار في مقام الإضمار؛ للتنويه بذكر المصباح؛ لأنه أعظم أركان التمثيل، وكذلك إعادة لفظ الزجاجة في قوله : (الزجاجة كأنها كوكب دري)؛ لأنه من أعظم أركان التمثيل، ويُسَمّى مِثْلُ هَذِهِ الإعادَةِ تَشابُهَ الأَطْرافِ في فَنِّ البَدِيعِ" (٧٠).

وهذا النظم مما يساند القوة التشبيهية ويبين عن مقصودها في كثافة الوصف ودقة التعبير، فالمصباح الذي في المشكاة زاد توهجه وللمحافظة على إضاءته وتوهجه يحفظ في زجاجة ليظل متوهجا مضيئا ثم إن الزجاجة هي من أهم مكونات المصباح وهي من المواد المتناسبة في صنع المصابيح ومنسجمة مع معاني الكشف والوضوح"(٧١)، (الزجاجة كأنها كوكب دري) استعمل (كأن) الدالة على التشبيه المؤكد، لأنها ركبت من الكاف وأن التي تفيد التوكيد والتشبيه بها أبلغ (٧٢)، وفي قوله كذلك: (الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ)، مُتَلَأْلِئٌ وقّادٌ شَبِيهٌ بِالدُّرِّ في صَفائِه"." (٧٣)، والهاء في (كأنها) تحتمل معنيين : إما أنها بالمصباح كذلك أو أنها في نفسها لصفائها وجودة جوهرها كذلك، وهذا التأويل أبلغ في التعاون على النور(٧٤)، وتشبيه الزجاجة بالكوكب زيادة في صفة نور المصباح وإضاءته ومبالغة في نعت إشراقه وتألقه"(٧٥)، ولم يبتعد ابن عاشور عن هذا المعنى، وهو أن التشبيه جاء تعبيرا عن شدة صفاء الزجاجة، لأنه أوجز لفظا، وأبين وصفا، وهو تشبيه مفرد في أثناء التمثيل ولا حظ له في التمثيل(٧٦)، (الزجاجة كأنها كوكب دري) وفي سياق ذلك التركيب في نظمه يتجلى هذا التشبيه الذي ينبض بالحياة، ويساعد فيه التمثيل على إدراك المقصود من ضربه؛ حيث جاء ليبين عن قدرته سبحانه في تدبير الأمور.

ثم إنه قال (يكاد زيتها يضيء) (نور على نور) وكأن هذا الهدى قد امتلأ في صدر المؤمن وفي حياته وفي طريقه وكافة تعاملاته حتى أصبح مشعاً واضحاً، قد ملأ الكون بأكمله، فهو نور، وقرآنه نور، وكرسوله صلى الله عليه وسلم نور، وهدايته نور وهو وحده مدبر هذا الكون بعظمته وقدرته (٧٧)،

وفي قوله: (يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية)، يتجلى النظم في هذه الآية؛ إذ تنبض بالحركة والحياة والاشتعال بدءا بالمضارع) يوقد (مما دل على تجدد إيقاده فهو لا يذوي ولا يطفأ، (من شجرة) "يومئ إلى الحاجة إلى اجتهاد علماء الدين في استخراج إرشاده على مرور الأزمن؛ لأن استخراج الزيت من ثمر الشجرة يتوقف على اعتصار الثمرة وهو الاستنباط"(٧٨)، وفي تنكير(مباركة) تَفْخِيمٌ لِشَأْنِها،"(٧٩)، وفي قوله (زيتونة) إيضاح بعد إبهام؛ وذلك لتوضيح نوع تلك الشجرة وتقريره في الذهن(٨٠)، ثم وصفها بالمباركة، ولعل هذا الوصف يضاعف من إمكانية تصور وهج زيتها ولمعانه؛ إذ بركتها توحي بكثرة خيرها ونفعها، ووصف زيتها بأنه يكاد يشتعل يعد من أبلغ الوصف وأدقه (٨١).

وفي قوله (**لا شرقية ولا غربية**)، كناية عن جودة زيتها وزيتونها؛ لتعرضها للشمس في كل حين ([٨٢])وفيه أيضا طباق بين متضادين -الشرق والغرب أما عن بلاغة توسط الشجرة فهذا خطاب للناس بما يعرفون، "فهذا الزيت يَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ شَجَرَتِهِ في احْتِجابِها عَنِ الشَّمْسِ وبُرُوزِها لَها، لِأنَّ الشَّجَرَ رُبَّما ضَعُفَ وخَبُثَ ثَمَرُهُ بِحائِلٍ بَيْنَهُ وبَيْنَ الشَّمْسِ، بَيَّنَ أنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ لَيْسَتْ كَذَلِكَ فَقالَ :﴿لا شَرْقِيَّةٍ﴾ أيْ لَيْسَتْ مَنسُوبَةً إلى الشَّرْقِ وحْدَهُ، بِحَيْثُ لا تتَمَكَّنُ مِنها الشَّمْسُ إلّا عِنْدَ الشُّرُوقِ لَكِنَّها في لَحْفِ جِبَلٍ يُظِلُّها إذا تَضَيَّفَتِ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ ﴿ولا غَرْبِيَّةٍ﴾ لِأنَّها في سَفْحِ جَبَلٍ يَسْتُرُها مِنَ الشَّمْسِ عِنْدَ الشُّرُوقِ، بَلْ هي بارِزَةٌ لِلشَّمْسِ مِن حِينِ الشُّرُوقِ إلى وقْتِ الغُرُوبِ، لِيَكُونَ ثَمَرُها أنْضَجَ فَيَكُونَ زَيْتُهُ أصْفى(٨٣)، فمثل هذا يوحي بدقة النظم وفاعلية السياق ونشاطه المقالي والمقامي.

وفيه أيضا معنى عدم انضوائها إلى الشرق أو إلى الغرب يعني ديمومة استزادتها من ذلك الضوء بلا انقطاع(٨٤)، (يكاد زيتها يضيء) تظهر في الآية دقة التعبير حيث استخدم -يكاد- لتقريب المعنى لأن اضاءة الزيت غير مستحيلة عقلا لكن لفظة-يكاد- قربتها فصارت مقبولة، وهَذا تَشْبِيهٌ بالِغٌ كَمالَ الإفْصاحِ بِحَيْثُ هو مَعَ أنَّهُ تَشْبِيهُ هَيْئَةٍ بِهَيْئَةٍ هو أيْضًا مُفَرِّقُ التَّشْبِيهاتِ لِأجْزاءِ المُرَكَّبِ المُشَبَّهِ مَعَ أجْزاءِ المُرَكَّبِ المُشَبَّهِ بِهِ، وذَلِكَ أقْصى كَمالِ التَّشْبِيهِ التَّمْثِيلِيِّ في صِناعَةِ البَلاغَةِ.ولَمّا كانَ المَقْصُودُ تَشْبِيهَ الهَيْئَةِ بِالهَيْئَةِ والمُرَكَّبِ بِالمُرَكَّبِ حَسَنُ دُخُولُ حَرْفِ التَّشْبِيهِ عَلى بَعْضِ ما يَدُلُّ عَلى بَعْضِ المُرَكَّبِ لِيُكَوِّنَ قَرِينَةً عَلى أنَّ المُرادَ التَّشْبِيهُ المُرَكَّبُ، ولَوْ كانَ المُرادُ تَشْبِيهَ الهُدى فَقَطْ لَقالَ :نُورُهُ كَمِصْباحٍ في مِشْكاةٍ . .إلى آخِرِهِ، فالنُّورُ هو مَعْرِفَةُ الحَقِّ عَلى ما هو عَلَيْهِ المُكْتَسَبَةُ مِن وحْيِ اللَّهِ وهو القُرْآنُ .شُبِّهَ بِالمِصْباحِ المَحْفُوفِ بِكُلِّ ما يَزِيدُ نُورُهُ انْتِشارًا وإشْراقًا" ."(٨٥).

ولما تم سياق التمثيل في نظمه بعلاقاته التركيبية والتصويرية المعجزة، ختمه بقوله (نور على نور) فجيء بنور نكرة للتفخيم والتعظيم، فهو نور متضاعف من غير تحديد ليضاعفه (٨٦)، وهذا التنكير فيه" :ضرب من الفخامة والمبالغة، لا أرشق ولا أجمل منه، فليس هو نورا واحدا، معينا أو غير معين، فوق نور آخر مثله، وليس هو مجموع نورين اثنين فقط، بل هو عبارة عن نور متضاعف، من غير تحديد لتضاعفه بحدّ معين ([٨٧]).

وفي هذا النظم العجيب وردت (على)؛ لتشير إلى الِاسْتِعْلاءِ المَجازِيّ وهو التَّظاهُرُ والتَّعاوُنُ .والمَعْنى :أَنَّهُ نُورٌ مُكَرَّرٌ مُضاعَفٌ (٨٨)، وقد جانس بين (نور ونار) وهو جناس لاحق لاختلاف نوع الحرف مع بُعد المخرج .(٨٩)، وحين اجتمع نور النار ونور الزيت أضاءا، ولا يضيء واحد بغير صاحبه، كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه، وقيل "اجتمع في المشكاة ضوء المصباح إلى ضوء الزجاجة وإلى ضوء الزيت فصار لذلك نوراً على نور"(٩٠)، وهو "نور متضاعف تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق بما يقوي النور ويزيده إشراقاً ويمدُّه بإضاءة بقية؛ وذلك أن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له، وأجمع لنوره، بخلاف المكان الواسع؛ فإن الضوء ينبث فيه ينتشر"(٩١)، واعتُرِضَ بأن حق النظم الكريم على هذا أن يقال : مثل نوره كمشكاة، وزجاجة، ومصباح، وشجرة مباركة زيتونة، وزيت يكاد يضيء ولو لم تَمْسَسْه نار حتى يُفيد تشبيه كل واحد بكل واحد ، وأجيب بأنه لما كان كل من هذه الحواس يأخذ ما يدركه مما قبله كما يأخذ المظروف من ظرفه، أشار سبحانه إلى ذلك بأداة الظرفية دلالة على بديع صنعه سبحانه وحكمته جل شأنه (٩٢)، وفي هذا النظم العجيب والنشاط السياقي الفريد يتجلى التشبيه الذي تضمنته الآية الكريمة من تشبيه المعقول - وهو نوره تعالى بمعنى أدلته سبحانه، لكن من حيث إنها أدلة، أو القرآن، أو التوحيد والشرائع وما دل عليه بدليل السمع والعقل، أو الهدى، أو نحو ذلك، وقد شُبِّه بالمحسوس، وهو نور المشكاة المبالغ في نعته، وأنه ليس في المشبه به أجزاء ينتزع منها الشبه ليبنى عليه أنه مركب أو مفرَّق؛ لأنه شبه الهدى بالمصباح، والجهالات بظُلَمٍ استلزمها.

وقد جاء تنكير النور في نهاية التمثيل (نور على نور)، (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)؛ لدلالة على الفخامة، والجملة في نظمها وسياقها التمثيلي تمهيد لما يعقبها، وكان النور بهذه الصفة وذلكم التراكب، نوراً متضاعفاً من غير تحديد لتضاعفه بحد معين، ولضرب هذا المثل في السياق التشبيهي دور كبير وجليل في باب الإرشاد؛ لأنه إبراز للمعقول في هيئة المحسوس، وتصوير لأوابد المعاني بصورة المأنوس، واختتم سياق الآية ونظمها بالعلمية المطلقة لله ﷻ في كل شيء، سواء كان معقولاً أو محسوساً ، " ومن قضيته أن تتعلق مشيئته تعالى بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم؛ لمخالفته الحكمة التي هي مبنى التكوين والتشريع، وأن تكون هدايته سبحانه العامَّةُ على فنون مختلفة وطرائق شتى، حسبما تقتضيه أحوالهم، وتقوم به الحُجَّة له تعالى عليهم(٩٣)، وعلى هذا يكون البعد السياقي وتداوليته وما ارتبط به من جمال النظم وبلاغته، قد أسهما في هذا البناء التمثيلي ونشاطه الدلالي والتأثيري والتوجيهي، بما استوعبه من قيم النظم وفاعلية السياق.

وبهذا تمثل معرفة السياق المقامي والمقالي ركيزة أساسية وضرورية لإجراء التأول والوصول إلى المعنى المقصود؛ بحكم أن السياق يمثل أهم القرائن الدالة على مراد المتكلم، وعليه فهو مع النظم قيمة تداولية راسخة.

٢. البعد الإقناعي

الإقناع بفكرة من الأفكار قد يصل إلى مستوى الحجّة البرهانية وقد يقتصر على مستوى الحجّة الخطابيّة على لفت النّظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة، والحجّة البرهانية هي الحجّة الملزمة التي تفيد اليقين، أمّا الحجّة الخطابيّة فهي حجّة إقناعيّة ظنيّة تفيد الظنّ الراجح، ولفت النظر يكفي فيه إيراد المثل المشابه، ولو لم يشتمل على أيّة حجّة، والقصد الإقناعي في تمثيل الخطاب القرآني نموذج تداولي موجه للتأثير وتغيير السلوك والاعتقاد بجملة الحجج والبراهين والاستدلالات

الظاهرة والمضمرة، والقادرة على توجيه المخاطب إلى الاستجابة والاقتناع بفحوى الخطاب ومقصوده والتسليم بإرشاداته وتعاليمه المنضوية فيه بأفعال وأقوال.

يزخر الخطاب القرآني بأساليب متنوّعة ذات فعاليّة قصوى في إحراز الأثر التّداوليّ المتمثّل في الإقناع، وهي على أنواع وأشكال مختلفة بدءاً بالإقناع بالحرف والكلمة والتّركيب، إلى الإقناع بأنماط الأساليب التي تراوحت بين التّرغيب والتّرهيب، إلى الإقناع بالمنطق السّليم والاستناد إلى البرهان القويم بطريق القصص والتّمثيل والتّصوير والحوار الإقناعي الهادف إلى تبيين الحق وإظهاره، فالخطاب القرآني خطاب مقاصدي إقناعي من الدرجة الأولى؛ لأنه نزل للإفهام والتأثير في المخاطبين، ، مثل ما سبق بيانه من أن الفعل الكلامي فعل تواصلي قصدي إقناعي في القرآن الكريم؛ لأنه خطاب مقصود بتكاليفه وأفعاله، فالمقاصد القرآنية قائمة على ما هو تكليفي ومن ورائه عمل، وهذا ما ذهب البحث التداولي إلى إثباته من أن الكلام لا عبرة له إلا بآثاره وأفعاله الإنجازية.

فالقصد الإقناعي بوسائله المختلفة والمتعددة والمتنوعة من قياس وتمثيل واستدلال وشاهد ...الخ، متمثل في كل سورة وآية من الخطاب القرآني، فهو ينهض على أفعال تعددية ذات بُعْدٍ تأثيري في المتلقي والمخاطبين جميعاً؛ إذ تعمل على توجيه أفعالهم وتغيير قيمهم وسلوكياتهم وأهدافهم بما يتناسب مع القيم الإسلامية والأحكام الشرعية القويمة الهادية للصلاح والفلاح، وتثبيت العقيدة، والامتثال لأوامرها، ونواهيها.

وعلى هذا يمكن القول تأسيساً على ما جاء من البعد النظمي السياقي لتداولية التمثيل بوصفه نموذجاً تواصلياً إنه يشتمل على قوة تأثيرية إقناعية عميقة ومكثفة، وتكمن قيمة التمثيل في الآية/ آية النور، من خلال الحجج الإقناعية فقد أوثر التمثيل على الحقيقة أو المجاز على الحقيقة ، لتحقيق وظيفة الإقناع والتأثير ، ويكمن بعد التمثيل الحجاجي من خلال تقريب المعنى في ذهن المتلقي ونقله بصورة محسوسة ليكون ذلك ادعى في إقناعه والتأثير فيه ، فالمثل في الآية الكريمة جيء به لتحقيق بيان أصول الهداية العامة ولتحقيق هذا المقصد وظف الخطاب القرآني آلية من آليات الحجاج البلاغي وهي التمثيل.

وحتى نبرز ونعزز من القوة التأثيرية والاقناعية للتمثيل في الآية نأتي بما يقابل ذلك وهو تصوير أعمال الذين كفروا بالسراب والظلمات قال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة .... أو كلمات في بحر لجي..)، ثم قال سبحانه(ومن لم يجعل الله نورا فماله من نور)، فلن يتم تصور نور الهداية ومعرفة أبعاد الصورة كاملة إلا بهذه المقابلة فهذا نوره سبحانه وتعالى قد تجلى في السموات والأرض وتبلور في بيوته والآية كما اسلفت بينت سبل الهداية فهذا نور يهدي إلى الإيمان يرشد الله عباده لسبيل الوصول اليه وفي المقابل يصور حال من أعرض عن هذا واختار الطريق المظلم فدل بذلك السياق كما يظهر على ان سبب ضلال الكفار وظلمة قلوبهم إعراضهم عما أنزله الله من العلم وتكذيبهم للمرسلين حتى حجب هذا الإعراض وهذا التكذيب نور العلم الإلهي كما حجب السحاب وظلمة الأمواج ضوء الشمس فهم في ظلمات مستحكمة (٩٤).

كما يظهر مما تضمنه الخطاب القرآني في التعبير باستعمال التمثيل الذي يعد من أهم الآليات الحجاجية التي بدورها تقوم على رفع القدرة التأثيرية والإقناعية للمتلقي؛ نظرا لما يقيمه من مشاهدة هي أقرب ما تكون إلى تجربة علمية تزيد المتلقي تصديقا على تصديق(٩٥)، فقد ذكر ابن عاشور كمال التشبيه التمثيلي في صناعة البلاغة بقوله: بالغ كمال الإفصاح؛ إذ

إنه تشبيه هيئة بهيئة، وفي الآن ذاته هو أيضا مفرق التشبيهات لأجزاء، المركب المشبه مع أجزاء المركب المشبه به، ثم قام بإجراء مقابلة بين أجزاء الهيئتين المشبهتين المِشْكاةُ يُشْبِهُها ما في الإرْشادِ الإلَهِيِّ مِن انْضِباطِ اليَقِينِ وإحاطَةِ الدَّلالَةِ بِالمَدْلُولاتِ دُونَ تَرَدُّدٍ ولا انْثِلامٍ، وحِفْظُ المِصْباحِ مِنَ الِانْطِفاءِ مَعَ ما يُحِيطُ بِالقُرْآنِ، فمَعانِي هِدايَةِ إرْشادِ الإسْلامِ تُشْبِهُ المِصْباحَ في التَّبْصِيرِ والإيضاح.

وتَبْيِينُ الحَقائِقِ مِن ذَلِكَ الإرْشاد وسَلامَته مِن أنْ يَطْرُقَهُ الشَّكُّ واللَّبْسُ يُشْبِهُ الزُّجاجَةَ في تَجْلِيَةِ حالِ ما تَحْتَوِي عَلَيْهِ كَما قالَ :﴿ولَقَدْ أنْزَلْنا إلَيْكم آياتٍ مُبَيِّناتٍ﴾، والوَحْيُ الَّذِي أبْلَغَ اللَّهُ بِهِ حَقائِقَ الدِّيانَةِ مِنَ القُرْآنِ والسُّنَّةِ يُشْبِهُ الشَّجَرَةَ المُبارَكَةَ الَّتِي تُعْطِي ثَمَرَةً يُسْتَخْرَجُ مِنها دَلائِلُ الإرْشاد، وسَماحَةُ الإسْلامِ وانْتِفاءُ الحَرَجِ عَنْهُ يُشْبِهُ تَوَسُّطَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ طَرَفَيِ الأُفُقِ فَهو وسَطٌ بَيْنَ الشِّدَّةِ المُحْرِجَةِ وبَيْنَ اللِّينِ المُفْرِط، ودَوامُ ذَلِكَ الإرْشادِ وتَجَدُّدُهُ يُشْبِهُ الإيقاد، وتَعْلِيمُ النَّبِيءِ ﷺ أُمَّتَهُ بِبَيانِ القُرْآنِ وتَشْرِيعِ الأحْكامِ يُشْبِهُ الزَّيْتَ الصّافِيَ الَّذِي حَصَلَتْ بِهِ البَصِيرَةُ، وهو مَعَ ذَلِكَ بَيِّنٌ قَرِيبُ التَّناوُلِ يَكادُ لا يَحْتاجُ إلى إلْحاحِ المُعَلِّمِ انْتِصابُ النَّبِيءِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لِلتَّعْلِيمِ يُشْبِهُ مَسَّ النّارِ لِلسِّراجِ وهَذا يُومِئُ إلى اسْتِمْرارِ هَذا الإرْشادِ، ففي كل ذلك من الإقناع ما يثبت العقيدة ويرسخ الإيمان .

كَما أنَّ قَوْلَهُ: (مِن شَجَرَةٍ) يُومِئُ إلى الحاجَةِ إلى اجْتِهادِ عُلَماءِ الدِّينِ في اسْتِخْراجِ إرْشادِهِ عَلى مُرُورِ الأزْمِنَةِ؛ لِأنَّ اسْتِخْراجَ الزَّيْتِ مِن ثَمَرِ الشَّجَرَةِ يَتَوَقَّفُ عَلى اعْتِصارِ الثَّمَرَةِ وهو الِاسْتِنْباطُ."([٩٦])، وختمت الآية بقوله (يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) "هَذِهِ الجُمَلُ الثَّلاثُ مُعْتَرِضَةٌ أوْ تَذْيِيلٌ لِلتَّمْثِيلِ. والمَعْنى: دَفْعُ التَّعَجُّبِ مِن عَدَمِ اهْتِداءِ كَثِيرٍ مِنَ النّاسِ بِالنُّورِ الَّذِي أنْزَلَهُ اللَّهُ وهو القُرْآنُ والإسْلامُ، فَإنَّ اللَّهَ إذا لَمْ يَشَأْ هَدْيَ أحَدٍ، خَلَقَهُ وجَبَلَهُ عَلى العِنادِ والكُفْرِ.وأنَّ اللَّهَ يَضْرِبُ الأمْثالَ لِلنّاسِ مَرْجُوًّا مِنهُمُ التَّذَكُّرُ بِها: فَمِنهم مَن يَعْتَبِرُ بِها فَيَهْتَدِي، ومِنهم مَن يُعْرِضُ فَيَسْتَمِرُّ عَلى ضَلالِهِ، ولَكِنْ شَأْنُ تِلْكَ الأمْثالِ أنْ يَهْتَدِيَ بِها غَيْرُ مَن طُبِعَ عَلى قَلْبِهِ، وجُمْلَةُ (واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) تَذْيِيلٌ لِمَضْمُونِ الجُمْلَتَيْنِ قَبْلَها؛ أيْ لا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ. ومِن ذَلِكَ عِلْمُ مَن هو قابِلٌ لِلْهُدى ومَن هو مُصِرٌّ عَلى غَيِّهِ. وهَذا تَعْرِيضٌ بِالوَعْدِ لِلْأوَّلِينَ والوَعِيدِ لِلْآخَرِينَ، فالأفعال المضارعة التي ختمت بها الآية أضفت الحركية والإيحاء؛ وذلك باستمرارية تنامي دلالة النور حتى بعد انتهاء المثل فكأن هذه النهاية نقطة انطلاق جديدة لدلالة النور؛ فالآية بينت عن طريق الوسائل الإقناعية والتوجيهية من مفردات وتراكيب وصور، بينت سبيل الهداية ووضحته بالطاقات الإقناعية المؤثرة في إيصال النور وامتداده واستمرار وجوده في ذلك الوجود الكائن بما فيه من معوقات من ظلام وكفر وضلال.

وعند تأمل البعد الإقناعي في آية النور وفق نموذجها التمثيلي الذي احتشد بالحجج الإقناعية الإفرادية منها والتركيبية والتصويرية، على مستوى الوصل والإيصال والتواصل، وعلى مستوى الحجج المؤسَّسة على بنية الواقع، والحجج المؤسِّسة لبنية الواقع، نجد أن المكونات التمثيلية أخذت قوة إقناعية وفق تماثلها النظمي والسياقي، وظهر في كل مكون منها كفاياته اللسانية والإقناعية والتأثيرية، فكان للتشبيهات المفردة والمركبة طاقات إقناعية مؤثرة في توجيه دلالات النور، وكان للتمثيل في ذاته أثراً إقناعياً كبيراً بكل تقنياته التي تجلت في الآية الكريمة، وكان للسياق كذلك دور حجاجي إقناعي في توجيه الدلالات وترجيحها، إضافة إلى ما للمقتضيات الإفرادية الظاهرة والمركبة من قوة إقناعية زاوجت بين التعريف والتنكير، وجمعت بين

المتشابهات وآلفت بين المختلفات، فظهر المعقول في شكل المحسوس، والخفي في صورة الجلي، والبعيد في ثوب القريب، وكان لكل ذلك من الوجوه الإقناعية بأبعادها المتعددة ما يدعو إلى التأثير والاستجابة والاقتناع من قبل المتلقي والمخاطبين بشكل عام.

والتمثيل في صورته الإقناعية يسلك في بنائه مسالك شتى وطرائق متعددة، وأساليب متنوعة، تحمل جميعها الإقناع والإمتاع، ولا جرم ولا غرو في ذلك؛ لأنه اشتمل على البراهين والقياسات والأدلة المادية والمعنوية التي تدحض الباطل وتزهقه، وتهدم حججه وتبطل مزاعمه، وتبين مصيره وعواقبه، وأنه ذاهب وزاهق، وفي الحين ذاته توضح الحق وتثبت عقيدته، وتكثف من الطاقات الإقناعية لحججه وبراهينه، وتقرر عواقبه ومآله، ولا يتأتى ذلك إلا لهذا التمثيل القرآني المعجز بنظمه وحجاجه وإقناعه وتداوله وتأثيره وتوجيهه القويم.

الخاتمة

حاول البحث من خلال معايشته لبلاغة التمثيل وأبعاده التداولية في آية النور، ومستتبعات تراكيبها، أن يجيل النظر في تحليل هذا الخطاب القرآني الفريد، ويتفاعل مع هذا التصور الكائن والمتجدد بأدواته وآلياته وممكناته القائمة في نموذج التمثيل، وما استوعبته دوائر التعبير فيه عن المقاصد والمضامين الكلية والفرعية كل ذلك في محاولة بحثية، يمكن رصد أهم نتائجها والإبانة عنها في الآتي:

- أظهر البحث قدرة التمثيل وفق بلاغته وتداوليته على أن يبرز المعقول في صورة المحسوس، بوصفه أداة للقياس، ووسيلة للتعبير عن المقاصد والمضامين وبيانها ومقاربتها، فكان آلية للكشف عن المعنى، ومحاصرة دلالاته المركزية والحافّة، بكل وسائله واستدلالاته.
- كان لتمثيل النور كفايات تواصلية وإقناعية، مكّنته من إقامة الحُجّة، وتثبيت المعنى وتقريره وتأكيده وترجيحه وفق المقاصد التي يرومها خطاب الآية الكريمة.
- ارتبطت تمثيلات النور في الآية الكريمة بحقول دلالية تأسست عليها مقاصد السورة بأكملها، فكانت معاني الإيمان والكفر، والهداية والضلال، والثبات والتحول، أهم الحقول التي نقلها التمثيل من طابعها التجريدي العقلي إلى طابعها التشخيصي الحسي؛ فأسهم في تتميم البيان للنور والظلام اللذين ارتبطت بهما تلك الحقول في معاقل متنوعة من سياقات الآية ومستتبعاتها.
- استطاع تمثيل النور أن يبرز ويحدد خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق الكونية والوجودية الماثلة في سبل التصوير التمثيلي القائم في الآية بكل أنماطه وألوانه، ومن ثم حقق قدراً كبيراً من الإيجاز والإنجاز والإعجاز في جانبه اللساني، وقدراً أكبر من الاختيار والائتمار والاعتبار في جانبه العقدي، وقدراً أوفى من الاتساع والانتفاع والاتباع في جانبه المعرفي، كل ذلك ضمن مقدوره التداولي بمجالاته وقواعده، وكان النور وطبقاته المحكمة محور التداول في ذلك النموذج.

- كشف البحث عن براعة البعد النظمي والسياقي في مراعاة المناسبة بين أطراف التمثيل لكل من الممثل له والممثل به، الأمر الذي نتج عنه دقة التصوير وإبراز العناصر المهمة فيه، والانتقال بالمتخيل في صورة المتحقق، وإثبات المتوهم في صورة المتيقن، واستحضار الغائب كأنه شاهد.
- أبان البحث عن القيم التداولية الموسّعة للتمثيل وبلاغته الرحبة، من خلال إمكانات الفعل الكلامي وقدرته الإنجازية والتأثيرية وفق الأشكال الخبرية والتبيينية والتقريرية التي كانت عليها أفعال الآية الكريمة بخواص المضارعة التي رسخت مبدأ استمرارية المقاصد ومقاربة نوعيتها في سياقات تمثيل النور، فكان لقيم هذه الأفعال أثر ظاهر ومضمر في المخاطبين، وتوجيه قناعاتهم وسلوكهم.
- كان لحاسة البصر في تمثيل النور حضور فاعل وكبير في التصورات الكونية والوجودية والمادية، وتقريب للمتباعدات، وتجسيد للعقائد والمعتقدات والقناعات، فجاء التمثيل بأصوله وفروعه جامعاً بين الأبعاد الجمالية والمقاصد الإبلاغية والتداولية، وكان المنطلق اللساني والبلاغي والتداولي من أهم الآليات التي حقق بها التمثيل مقاربة النور في الآية الكريمة.
- أتاح النموذج التمثيلي المركب في الآية للمخاطب أن يحسن الاختيار بين عقيدتي الإيمان والكفر، بعد أن تدرجت حججه وقياساته من الأهون إلى الأغلظ، وجعل المخاطَبَ منصاعاً لمقتضى القول، وذلك باعتماده على مدركات حسية في تعزيز الجانب الإقناعي وطاقاته، الأمر الذي يترتب عليه تقرير النتائج في الأذهان وتثبيتها وترسيخها؛ لوضوح الصورة التمثيلية وبيانها الجلي لدى المخاطب، وبنائها على أسس لا تتعارض مع قناعاته واستجاباته.
- أظهر البحث القصد الإقناعي في تمثيل النور، فكان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر.
- كان التمثيل في الآية ملاذاً لدمج الألوان البلاغية وتراكبها، ومن ثم إغنائها وإثرائها، ومجالاً للتجريب التداولي والتقريب الدلالي والمقاصدي، فتجلى النور بهذه الصورة، الفريدة في بيانها، المعجزة في نظمها، وائتلافها، وإحكامها، وتناسب اختياراتها الإفرادية والتركيبية والسياقية.

المصادر

- اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية، ابن القيم الجوزية، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٤٤هـ/٢٠١٩م.
- أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلَّق عليه: محمود حمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

- الأسس الفنية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
- الإشارة الجمالية في المثل القرآني، عشتار داوود محمد، منشورات اتحاد الكتاب العرب -دمشق-٢٠٠٥.
- إعجاز القرآن في ضرب الأمثال دراسة تطبيقية على الآية الأربعين من سورة النور، د. أحمد عبد الكريم الكبيسي، مجلة البحوث العلمية الدراسات الإسلامية -الشارقة.
- إعجاز القرآن، أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٧م.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين، عبد الله بن محمد بن أبوبكر أيوب بن القيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، محمد نديم خليل أحمد، دار عطاءات العلم، دار ابن حزم، (د.ت).
- أمثال القران الكريم بين دقة التصوير وكفاية الترجمة -د. أبا سفيان محمد الحاج، بحث منشور بمجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد ١١٥، ٢٠١٨م.
- أمثال سورة النور، محمد محمد أبو موسى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٠٥، السنة ٢٦، طبعة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، (د.ت).
- البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، تحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.
- البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ/١٩٨٧م، ص ٦١، وما بعدها.
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار السامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- البلاغة والاتصال جميل عبد المجيد، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- البيان القرآني، محمد رجب البيومي، سلسة البحوث الإسلامية، مكتبة المهتدين الإسلامية، القاهرة، الكتاب الواحد والثلاثون، السنة الثالثة، دار النصر للطباعة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- تجديد المنهج في تقويم التراث: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة، ٢٠١٢م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام، (د.ت).
- التداولية أصولها واتجاهاتها: جواد ختام، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمن، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
- تداولية سياق الحال في الفعل الكلامي، دراسة تحليلية تطبيقية، سامية بن يامنة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.
- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- التداولية واستراتيجية التواصل: د. ذهبية حمو الحاج، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبدالعال السيد، محمد الشافعي العناني، الرحالة الفاروق، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، دار الخير، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود محمد العمادي الحنفي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د.ت).
- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن محسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، من إصدارات مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية.
- التناسب في سورة النور رسالة ماجستير، بدر بن طاهر العنزي-جامعة ام القرى، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
- الجامع لأحكام القرآن، والمُبَيِّن لما تضمنه من السُّنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبوبكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية مهمة، محمود صافي، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- الجمان في تشبيهات القرآن، أبو القاسم عبد الله بن ناقيا البغدادي، تحقيق: مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف، الإسكندرية، طبعة ١٩٧٨م.
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
- دراسة في البلاغة والشعر، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٩٦٩م.
- الصحاح، تاج اللغة وصِحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- الصلة بين التمثيل والاستنباط، (بحث)، بناصر البُعزَّاتي، ضمن كتاب (التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه)، تنسيق: حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم ١٣٤، الرباط، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- الصناعتين في الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م.
- الصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين علي الصغير، دار الهادي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ٣٧٣، وما بعدها.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- علم البيان، دراسة تاريخية فنية في تاريخ أصول البلاغة، بدوي طبانة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.
- علم التخاطب الإسلامي، دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م.
- في التداوليات الاستدلالية، قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية، ثروت محمد مرسي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.
- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب (الفيروز آبادي)، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٠٢هـ.
- كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، فتحي عبدالرحمن حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- الكلمة، دراسة لغوية معجمية: د. حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٠م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مرجعة: علي النجدي ناصف، دار السرور، (د.ت)، (د.ط).
- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي -دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠١م.
- معجم الكليات لأبي البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- معجم المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي (ابن سيدة)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١.
- معنى لا إله إلا الله، بدر الدين الزركشي، تحقيق وتعليق: علي محيي الدين علي القرة داغي، دار بو سلامة، تونس، ١٩٨٤م.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- منطق الكلام، من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي، حمو النقاري، دار الأمان، الرباط، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النظم القرآني في سورة النور، عائشة إبراهيم حسن الملاح، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ٢٠٠٤م.
- نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق، كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م.

الوساطة بين المتنبي وخصومة، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العلمية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثاني

الهوامش

(١) ينظر : تجديد المنهج في تقويم التراث: طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة، ٢٠١٢م، ص٢٥٠ وما بعدها.

(٢) كتاب العين مرتباً على حروف المعجم للخليل بن أحمد، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ج ١، ص ١١٨ مادة: مثل: ينظر كذلك: لسان العرب لابن منظور، ج ١١، ص ١١٠ مادة مثل؛ وأساس البلاغة للزمخشري، ص ٥٨١ والصحاح للجوهري، ج٥، ص ١٨١٦

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١، ص٢٩٦، مادة مثل، وينظر: معجم المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي (ابن سيدة)، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م، ج١/ ص ١٦٢، مادة مثل، وينظر: القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب (الفيروز آبادي)، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٠٢هـ، ص ٤٨-٤٩ ، مادة مثل، وينظر: معجم الكليات لأبي البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص٨٥١-٨٥٢، مادة مثل.

(٤) ينظر: علم البيان، دراسة تاريخية فنية في تاريخ أصول البلاغة، بدوي طبانة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ص٤٧.

(٥) نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق، كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م، ص ١٥٨.

(٦) البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، تحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م، ص١٤٥.

(٧) ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومة، علي بن عبدالعزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العلمية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٥١م، ص ٤٧١.

(٨) الصناعتين في الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣٥٣.

(٩) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م، ج١/ ص ٢٨٠.

(١٠) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣/ص٣٤٤.

(١١) ينظر: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٢٢٤ وما بعدها.

(١٢) ينظر: إعجاز القرآن، أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٧م، ص ٧٨.

(١٣) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلَّق عليه: محمود حمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص١٢١.

(١٤) ينظر المصدر السابق، ص ٩٥.

(١٥) ينظر: السابق، ص٩٠، وما بعدها.

(١٦) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص ١١٥، ١١٦.

(١٧) المصدر السابق، ص١٣٢، وما بعدها.

(١٨) المصدر السابق، ص١٣٩.

(١٩) المصدر السابق، ص١٤٨.

(٢٠) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٢٦٢.

(٢١) مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٣٤٦.

(٢٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، (د.ت)، ج٤/ ص٩٠ وما بعدها.

(٢٣) ينظر: تجديد المنهج في تقويم التراث: طه عبدالرحمن، ص٢٤٤.

[٢٤] ينظر: السابق، ص٢٤٨.

[٢٥] ينظر : التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي مسعود صحراوي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت -لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م ص٤١-٤٢

[٢٦] سورة النور، آية ٣٥.

[٢٧] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، فتحي عبدالرحمن حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج١/ص٢٣٥.

[٢٨] سورة النور، من آية ١.

[٢٩] سورة النور، آية ١٨.

[٣٠] سورة النور، من آية ٥٨.

[٣١] سورة النور، من آية ٥٩.

[٣٢] سورة النور، من آية ٦١.

[٣٣] معنى لا إله إلا الله، بدر الدين الزركشي، تحقيق وتعليق: علي محيي الدين علي القرة داغي، دار بو سلامة، تونس، ١٩٨٤م، ص١٣٨.

[٣٤] التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام، (د.ت)، ج١/ص١٦٢-١٦٣.

[٣٥] ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م، ص١٠٢.

[٣٦] الكشاف، الزمخشري، ج٥/ص١٥-١٦.

[٣٧] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨/ص٢٣٣.

[٣٨] ينظر: السابق، ج١٨/ص ٢٣٤.

[٣٩] ينظر: البيان القرآني، محمد رجب البيومي، سلسة البحوث الإسلامية، مكتبة المهتدين الإسلامية، القاهرة، الكتاب الواحد والثلاثون، السنة الثالثة، دار النصر للطباعة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص٨٨، ٨٩.

(٤٠) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨/ص٢٣٥.

[٤١] ينظر: السابق، ج١٨/ص٢٣٦.

[٤٢] أمثال سورة النور، محمد محمد أبو موسى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٠٥، السنة ٢٦، طبعة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٥.

[٤٣] ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص ١١٥، ١١٦.

[٤٤] ينظر: الأسس الفنية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبدالحميد ناجي، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، ص٢٠٢.

[٤٥] منطق الكلام، من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي، حمو النقاري، دار الأمان، الرباط، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص١٥٦.

[٤٦] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص٧١.

[٤٧] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨/ص٢٣٥.

[٤٨] الجمان في تشبيهات القرآن، أبو القاسم عبد الله بن ناقيا البغدادي، تحقيق: مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف، الإسكندرية، طبعة ١٩٧٨م، ص١٧٣.

[٤٩] معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: عبدالفتاح إسماعيل شلبي، مرجعة: علي النجدي ناصف، دار السرور، (د.ت)، (د.ط)، ج٢/ص٢٥٢.

[٥٠] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨/ص ٢٣٩.

([٥١]) ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين علي الصغير، دار الهادي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ٣٧٣، وما بعدها.

([٥٢]) ينظر: البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ/١٩٨٧م، ص ٦١، وما بعدها.

([٥٣]) تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبدالرحمن، ص١٧٤.

([٥٤]) ينظر: الصلة بين التمثيل والاستنباط، (بحث)، بناصر البُعزَّاتي، ضمن كتاب (التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه)، تنسيق: حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم ١٣٤، الرباط، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٢٩.

([٥٥]) ينظر: أعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية، ج٣/ص١٠٧-١٠٨

([٥٦]) انظر: في التداوليات الاستدلالية، قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية: ثروت محمد مرسي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، ص ١٧٧.

([٥٧]) انظر: الكلمة، دراسة لغوية معجمية: د. حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٠م، ص ١٢٩.

([٥٨]) التداولية أصولها واتجاهاتها: جواد ختام، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمن، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

([٥٩]) تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن محسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج١٧/ص٢٩٥.

([٦٠])التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨/ص٢٣٤.

([٦١]) انظر : تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، من إصدارات مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ج٨/ص٢٣٨.

([٦٢]) الكشاف، الزمخشري، ج٤/ص٣٠٦.

([٦٣]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج١٨/ص٣٦١.

([٦٤]) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج٦/ص٥٨.

([٦٥]) السابق، ج٦/ص٥٨.

([٦٦]) التحرير والتنوير، ابن عاشور ج١٨/ص ٢٣٤، ٢٣٥.

([٦٧]) السابق، ج١٨/ص٢٣٥.

([٦٨]) تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، ج٨/ص ٢٤٦.

([٦٩]) الإشارة الجمالية في المثل القرآني، عشتار داوود محمد، منشورات اتحاد الكتاب العرب -دمشق-٢٠٠٥، ص٤٧.

([٧٠])التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨/ص٢٣٦.

([٧١]) ينظر : التناسب في سورة النور رسالة ماجستير، بدر بن طاهر العنزي-جامعة ام القرى، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٣١١.

([٧٢]) ينظر : معاني النحو، فاضل صالح السامرائي -دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، /٢٠٠١م، ج١، ص٣٠٩.

([٧٣]) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود محمد العمادي الحنفي، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د.ت)، ج٤/ص١١٩.

([٧٤]) ينظر: تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، أبو محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبدالعال السيد، محمد الشافعي العناني، الرحالة الفاروق، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، دار الخير، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ج١٨/ص٣٨٧.

([٧٥]) ينظر: الجمان في تشبيهات القران، ابن ناقيا البغدادي، ص ١٦٦.

(٧٦) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨/ص٢٣٩.

(٧٧) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية، ابن القيم الجوزية، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٤٤هـ/٢٠١٩م، فصل في ذكر الأنوار وفيه فوائد جليلة، ج٢/ص٤٤.

(٧٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨/ص٢٤٣-٢٤٤.

(٧٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي البغدادي، ج١٨/ص٣٧٧.

(٨٠) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨/ص٢٤٠.

(٨١) ينظر: النظم القرآني في سورة النور، عائشة إبراهيم حسن الملاح، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ٢٠٠٤م، ص١٠٥.

(٨٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨/ص٢٣٦.

(٨٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج١٣/ص ٢٧٥.

(٨٤) ينظر الإشارة الجمالية في المثل القرآني، عشتار داوود محمد، ص٤٩.

(٨٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨/ص٢٤٢.

(٨٦) ينظر: تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود محمد العمادي، ج٦/ص١٧٧.

(٨٧) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية مهمة، محمود صافي، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج٩/ص٢٦٥.

(٨٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨/ص٢٤٣.

(٨٩) ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار السامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٢/ص٤٩٥.

(٩٠) الجامع لأحكام القرآن، والمُبَيِّن لما تضمنه من السُّنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبوبكر القرطبي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج١٥/ص٢٦٠.

(٩١) الكشاف، الزمخشري، ج٤/ص٣٠٧.

(٩٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي البغدادي، ج١٨/ص٣٧٨.

(٩٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي البغدادي، ج١٨/ص٣٨١.

(٩٤) ينظر: إعجاز القرآن في ضرب الأمثال دراسة تطبيقية على الآية الأربعين من سورة النور، د. أحمد عبد الكريم الكبيسي، مجلة البحوث العلمية الدراسات الإسلامية -الشارقة ص١٤٨.

(٩٥) ينظر: البلاغة والاتصال جميل عبد المجيد، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص١٧٢.

(٩٦) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨/ص٢٤٣-٢٤٤.